

زاد المسير سورة آل عمران

ذكر أهل التفسير أنها مدنية، وأن صدرا من اولها نزل في وفد نجران، قدموا النبي صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا، فيهم العاقب، والسيد، فخاصموه في عيسى، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر {ءالِ عِمْرَانَ} إلى بضع وثمانين آية منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

{لَمَّا * أَلَلَّهُ لَأَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِحَى لِقِيَوْمٍ * نَزَّلَ عَلَيْكَ لِكِتَابٍ بِرِ لِحَقِّ مُصَدَّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ لِقُرْقَانَ إِنَّ لِدِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ {

قوله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ لِكِتَابٍ} يعني: القرآن {بِرِ لِحَقِّ} يعني: العدل. {مُصَدَّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} من الكتب. وقيل: إنما قال في القرآن: «نزل» بالتشديد، وفي التوراة والانجيل: أنزل، لأن كل واحد منهما أنزل في مرة واحدة، وأنزل القرآن في مرات كثيرة. فأما التوراة، فذكر ابن قتيبة عن الفراء أنه يجعلها من: وري الزند يرى: إذا خرجت ناره، وأوريته، يريد أنها ضياء. قال ابن قتيبة: وفيه لغة أخرى: وري يري، ويقال: وريت بك زنادي. والانجيل، من نجلت الشيء: إذا أخرجته، وولد الرجل: نجله، كأنه هو استخرجه، يقال: قبج الله ناجليه، أي: والديه، وقيل للماء يقطر من البئر: نجل، يقال: قد استنجل الوادي: [إذا ظهر نزوزه]. وإنجيل: إفعيل من ذلك، كأن الله أظهر به عافيا من الحق دارسا. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والانجيل: أعجمي معرب، قال: وقال بعضهم: إن كان عربيا، فاشتقاقه من النجل، وهو ظهور الماء على وجه الارض، واتساعه، ونجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم وقيل: هو إفعيل من النجل وهو الأصل: فالإنجيل أصل لعلوم وحكم وفي الفرقان هاهنا قولان. أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة، والجمهور. قال أبو عبيدة: سمي القرآن فرقانا، لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، والثاني: أنه الفصل بين الحق والباطل في أمر عيسى حين اختلفوا فيه، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: وأنزل التوراة، والانجيل، والفرقان. فيه هدى للناس.

{مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ لِقُرْقَانَ إِنَّ لِدِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ {

قوله تعالى: { إِنَّ لِّذِينَ كَفَرُوا بَآيَاتِ اللَّهِ } قال ابن عباس: يريد وفد نجران النصارى، كفروا بالقرآن، وبمحمد. والانتقام: المبالغة في العقوبة.

{ إِنَّ إِلَهًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ } قال أبو سليمان الدمشقي: هذا تعريض بنصاري أهل نجران فيما كانوا ينطوون عليه من كيد النبي صلى الله عليه وسلم وذكر التصوير في الأرحام تنبيه على أمر

عيسى. { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ لِكِتَابٍ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمٌّ لِكِتَابٍ وَأُخْرٍ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا يَشَبَّهُ مِنْهُ لِيُفْتِنَ وَ يُنْتَعَا وَ يُتَعَا وَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرُّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }

قوله تعالى: { مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ } المحكم: المتقن المبين، وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال. أحدها: أنه الناسخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه الحلال والحرم، روي عن ابن عباس، ومجاهد. والثالث: أنه ما علم العلماء تأويله. روي عن جابر بن عبد الله. والرابع: أنه الذي لم ينسخ، قاله الضحاك. والخامس: أنه ما لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان، ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد. وقال الشافعي، وابن الأنباري: هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً. والسابع: أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة. والثامن: أنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلى. وأم الكتاب أصله. قاله ابن عباس، وابن جبير، فكأنه قال: هن أصل الكتاب اللواتي يعمل عليهن في الأحكام، ومجمع الحلال والحرام. وفي المتشابهة سبعة أقوال. أحدها: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله. والثالث: أنه الحروف المقطعة كقوله: «ألم» ونحو ذلك، قاله ابن عباس. والرابع: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مجاهد. والخامس: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما احتمل من التأويل وجوهاً. وقال ابن الأنباري: المحكم ما لا يحتمل التأويلات، ولا يخفى على مميز، والمتشابهة: الذي تعتوره تأويلات. والسابع: أنه القصص، والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى. فإن قيل: فما فائدة إنزال المتشابهة، والمراد بالقرآن البيان والهدى؟ فعنه أربعة أجوبة. أحدها: أنه لما كان كلام العرب على ضربين. أحدهما: الموجز الذي لا يخفى على سامعه، ولا يحتمل غير ظاهره. والثاني: المجاز، والكنيات، ولإشارات، والتلويحات، وهذا الضرب الثاني هو

المستحلى عند العرب، والبديع في كلامهم، أنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين، ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله، فكأنه قال: عارضوه بأي الضربين شئتم، ولو نزل كله محكما واضحا، لقالوا: هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا. ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية، أو تعريض أو تشبيه، كان أفصح وأغرب. قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لنضرب بي بسهميك في أعشار قلب مقتل

فجعل النظر بمنزلة السهم على جهة التشبيه، فحلا هذا عند كل سامع ومنشد، وزاد في بلاغته. وقال امرؤ القيس أيضا:
رمتني بسهم أصاب الفؤاد غداة الرحيل فلم أنصر

وقال أيضا:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

فجعل الليل صلبا وصدرا على جهة التشبيه، نحسن بذلك شعره. وقال غيره:
من كميت أجادها طابخاها لم تمت كل موتها في القدور

أراد بالطابخين: الليل والنهار على جهة التشبيه. وقال آخر:
تبكي هاشما في كل فجر كما تبكي على الفن الحمام

قاله آخر:

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تفتح بمنطقها فما

فجعل لها غناء وفما على جهة الاستعارة. والجواب الثاني: أن الله تعالى انزله مختبرا به عباده، ليقف المؤمن عنده، ويرده إلى عالمه، فيعظم بذلك ثوابه، ويرتاب به المنافق، فيداخله الزيف، فيستحق بذلك العقوبة، كما ابتلاهم بنهر طالوت. والثالث: أن الله تعالى أراد أن يشغل أهل العلم بردهم المتشابه إلى المحكم، فيطول بذلك فكرهم، ويتصل بالبحث عنه اهتمامهم، فيثابون على تعبهم، كما يثابون على سائر عباداتهم، ولو جعل القرآن كله محكما لاستوى فيه العالم والجاهل، ولم يفضل العالم على غيره، ولماتت الخواطر، وإنما تقع الفكرة والحيلة مع الحاجة إلى الفهم. وقد قال الحكماء: عيب الغنى: أنه يورث البلادة، وفضل الفقر: أنه يبعث على الحيلة، لأنه إذا احتاج احتال. والرابع: أن أهل كل صناعة يجعلون في علومهم معاني غامضة، ومسائل دقيقة ليخرجوا بها من يعلمون، ويمرنوهم على انتزاع الجواب، لأنهم إذا قدروا على

الغامض، كانوا على الواضح أقدر، فلما كان ذلك حسنا عند العلماء، جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو، وهذه الأجوبة معنى ما ذكره ابن قتيبة، وابن الأنباري.
قوله تعالى: { قَالَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ } في الزيف قولان. أحدهما: أنه الشك، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: أنه الميل، قاله أبو مالك وعن ابن عباس كالقولين. وقيل: هو الميل عن الهدى. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال. أحدها: أنهم الخوارج، قاله الحسن. والثاني: المنافقون، قاله ابن جريج. والثالث: وفد نجران من النصارى، قاله الربيع. والرابع: اليهود، طلبوا معرفة بقاء هذه الأمة من حساب الجمل، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: { فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ } قال ابن عباس: يحيلون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويلبسون. وقال السدي: يقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا، ثم نسخت؟ وفي المراد بالفتنة ها هنا، ثلاثة أقوال. أحدها: أنها الكفر، قاله السدي، والربيع، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: الشبهات، قاله مجاهد. والثالث: إفساد ذات البين، قاله الزجاج: وفي التأويل وجهان. أحدهما: أنه التفسير. والثاني: العاقبة المنتظرة. والراسخ: الثابت، يقال رسخ يرسخ رسوخا. وهل يعلم الراسخون تأويله أم لا؟ فيه قولان. أحدهما: أنهم لا يعلمونه، وانهم مستأنفون، وقد روى طاووس عن ابن عباس أنه قرأ { وَيَقُولُ * الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ * بِهِ إِنَّهُ } وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس، وعروة، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، و الفراء، وأبو عبيدة، وثعلب، وابن الأنباري، والجمهور. قال ابن الأنباري: في قراءة عبد الله {ءان تأويله إلا عند الله * والرسيخون في العلم } وفي قراءة أبي، وابن عباس { وَيَقُولُ * الرَّاسِخُونَ } وقد أنزل الله تعالى في كتابه أشياء، استأثر بعلمها، كقوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ } [الأعراف: 187] وقوله تعالى: { وَقُرُونَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا }

[الفرقان: 38] فأنزل الله تعالى المجمل، ليؤمن به المؤمن، فيسعد، ويكفر به الكافر، فيشقى. والثاني: أنهم يعلمون، فهم داخلون في الاستثناء. وقد روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله، وهذا قول مجاهد، والربيع، واختاره ابن قتيبة، وأبو سليمان الدمشقي. قال ابن الأنباري: الذي روى هذا القول عن مجاهد ابن أبي نجیح، ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد.

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ }

قوله تعالى: { رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا } أي يقولون: { رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا } وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وابن يعمر، والجحدري «لا تزغ» بفتح التاء «قلوبنا» برفع الباء. ولدنك: بمعنى عندك. والوهاب: الذي يجود بالعطاء

أنفاً. والثالث: أنهم اليهود، ذكره الفراء، و ابن الأنباري، وابن جرير. فان قيل: لم قال {قَدْ كَانَ لَكُمْ} ولم يقل: قد كانت لكم؟ فالجواب من وجهين. أحدهما: أن ما ليس بمؤنث حقيقي، يجوز تذكيره. والثاني: أنه رد المعنى إلى البيان، فمعناه: قد كان لكم بيان، فذهب إلى المعنى، وترك اللفظ، وأنشدوا: إن امرءاً غره فنكن واحدة بعدي وبعذك في الدنيا لمغرور

وقد سبق معنى «الآية» و«الفئة»، وكل مشكل تركت شرحه، فانك تجده فيما سبق، والمراد بالفئتين: النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ومشركو قريش يوم بدر. قاله قتادة والجماعة. وفي قوله تعالى: {يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ} قولان. أحدهما: يرونهم ثلاثة أمثالهم، قاله الفراء، واحتج بأنك إذا قلت: عندي ألف دينار، واحتج إلى مثليه، فانك تحتاج إلى ثلاثة آلاف. والثاني: أن معناه يرونهم ومثلهم، قال الزجاج: وهو الصحيح.

قوله تعالى: {رَأَى لَعِينٍ} أي: في رأي العين. قال ابن جرير: جاء هذا على مصدر رأيته، يقال: رأيت رأياً، ورؤية. واختلفوا في الفئة الرائية على ثلاثة أقوال. هي التي ذكرناها في قوله تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ} فان قلنا: إن الفئة الرائية المسلمون، فوجهه أن المشركين كانوا يضعفون على عدد المسلمين، فأوهم على ما هم عليه، ثم نصرهم الله، وكذلك إن قلنا: إنهم اليهود. وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم من أسباب النصر. وقد قرأ نافع: «ترونها» بالتاء. قال ابن الأنباري: ذهب إلى أن الخطاب لليهود. قال الفراء: ويجوز لمن قرأ: «يرونها» بالياء أن يجعل الفعل لليهود، وإن كان قد خاطبهم في قوله تعالى:

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ} لأن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. وقد شرحنا هذا في «الفاحة» وغيرها. فان قيل: كيف يقال: إن المشركين استكثروا والمسلمين، وإن المسلمين استكثروا المشركين، وقد بين قوله تعالى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اللَّيْقِئِمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} [الأنفال: 44] أن الفئتين تساوتا في استقلال إحداهما للأخرى؟ فالجواب: أنهم استكثروهم في حال، واستقلوهم في حال، فان قلنا: إن الفئة الرائية المسلمون، فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه، ثم قتل الله المشركين في أعينهم حتى اجترأوا عليهم، فنصرهم الله بذلك السبب. قال ابن مسعود: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم، فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. وقال في رواية أخرى: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة، فأسرنا منهم رجلاً، فقلت: كم كنتم؟ قال: ألفاً. وإن قلنا: إن الفئة الرائية المشركون، فانهم استقلوا المسلمين في حال، فاجترأوا عليهم، واستكثروهم في حال،

الكثير، بعضه على بعض، وروي عن أبي عبيدة أنه ذكر عن العرب أن القنطار وزن لا يحد، وهذا اختيار ابن جرير الطبري. قاله ابن الأنباري: قال بعض اللغويين: القنطار: العقدة الوثيقة المحكمه من المال. وفي معنى المقنطرة ثلاثة أقوال.

أحدهما: أنها المضافة، قال ابن عباس: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة، وهذا قول الفراء.

والثاني: أنها المكملة، كما تقول: بدرة مبدرة. وألف مؤلفة، وهذا قول ابن قتيبة.

والثالث: أنها المضروبة حتى صارت دنانير ودرهم قاله السدي. وفي المسومة ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها الراحية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وجاهد في رواية، والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل. قال ابن قتيبة: يقال سامت الخيل، وهي سائمة: إذا رعت، وأسمتها وهي مسامة، وسومتها فهي مسومة: إذا رعتها والمسومة في غير هذا: المعلمة في الحرب بالسومة وبالسيما، أي: بالعلامة.

والثاني: أنها المعلمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، وعن الحسن كالقولين. وفي معنى المعلمة ثلاثة أقوال. أحدها: أنها معلمة بالشية، وهو اللون الذي يخالف سائر لونها، روي عن قتادة. والثاني: بالكى، روي عن المؤرج. والثالث: أنها البلق، قاله ابن كيسان. والثالث: أنها الحسان، قاله ابن عكرمة، وجاهد. فأما الأنعام، فقال ابن قتيبة: هي: الإبل، والبقر، والغنم، واحدها. نعم، وهو جمع لا واحد له من لفظه. والمآب: المرجع. وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها.

{ قُلْ أُوۡسِبۡتُكُمۡ بِخَيْرٍ مِّنۡ ذٰلِكُمۡ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا۟ عِنۡدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجۡرِي مِنۡ تَحْتِهَا۟ اَلۡاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا۟ وَاَزۡوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضۡوٰنٌ مِّنۡ اَللّٰهِ وَاَللّٰهُ بَصِيۡرٌۢ بِالۡعِبَادِ }

قوله تعالى: { قُلْ أُوۡسِبۡتُكُمۡ بِخَيْرٍ مِّنۡ ذٰلِكُمۡ } روى عطاء بن السائب عن أبي بكر بن حفص قال: لما نزل قوله تعالى: { زَيِّنِ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوٰتِ }. قال عمر: يارب الآن حين زينتها فنزلت: { قُلْ أُوۡسِبۡتُكُمۡ بِخَيْرٍ مِّنۡ ذٰلِكُمۡ } ووجه الآية أنه خبر أن ما عنده خير مما في الدنيا، وإن كان محبوباً، ليركوا ما يحبون لما يرجون. فأما الرضوان، فقرأ عاصم، إلا حفصاً وأبان بن يزيد عنه، برفع الراء في جميع القرآن، واستثنى يحيى والعلمي كسر الراء في المائة في قوله تعالى: { مَنۡ تَبِعَ رِضۡوَانَهُ } [المائدة: 16]. وقرأ الباقر بكسر الراء، والكسر لغة قريش. قال الزجاج: يقال رضيت الشيء أرضاه رضى ومرضاة ورضوانا ورضوانا.

{وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} . يعلم من يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا، فهو يجازيهم على أعمالهم.

{لَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا إِيْمَانًا وَ عَفِرْنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُتَّقِينَ وَ الْمُتَّعِفِينَ بِالْأَسْحَارِ}

قوله تعالى: {الصَّابِرِينَ} أي: على طاعة الله عز وجل وعن محارمه والصادقين في عقائدهم وأقوالهم {وَالْقَانِتِينَ} بمعنى: المطيعين لله {وَالْمُتَّقِينَ} في طاعته، وقال ابن قتيبة يعني بالنفقة الصدقة وفي معنى: استغفارهم قولان. أحدهما: أنه الاستغفار المعروف باللسان قاله ابن مسعود، والحسن في آخرين. والثاني: أنه الصلاة، قاله مجاهد، وقتادة، والضحاك، و مقاتل في آخرين. فعلى هذا إنما سميت الصلاة: استغفاراً لأنهم طلبوا بها المغفرة فأما السحر فقال إبراهيم بن السري: السحر الوقت الذي قبل طلوع الفجر وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر، فوصفهم الله بهذه الطاعات ثم وصفهم بأنهم لشدة خوفهم يستغفرون.

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ لَمَّا كَفَرَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ وَالَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} سبب نزول هذه الآية. أن حبرين من أحبار الشام قدما النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم، عرفاه بالصفة، فقالا: أنت محمد؟ قال: نعم. قالا: وأحمد؟ قال: نعم. قالا: نسألك عن شهادة، فان أخبرتنا بها، أمنا بك، وصدقناك فقال: سلاني. فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فنزلت هذه الآية، فأسلما، قاله ابن السائب، وقال غيره: هذه الآية رد على نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام، وقد سبق ذكر خبرهم في أول السورة، وقال سعيد بن جبیر، كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما، وكان لكل حي من العرب صنم أو صنمان فلما نزلت هذا الآية خرت الأصنام سجداً وفي معنى {شَهِدَ اللَّهُ} قولان. أحدهما: أنه بمعنى قضى وحكم، قاله مجاهد، والفراء، و أبو عبيدة، والثاني: بمعنى بين، قاله ثعلب، و الزجاج. قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب و أموره المحكمات عند خلقه أنه لا إله إلا هو، وسئل بعض الأعراب ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال إن البعرة تدل على البعير وأثار القدم تدل على المسير فهيكلك علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على الصانع الخبير، وقرأ ابن مسعود، و أبي بن كعب، وابن السميع، وعاصم الجحدري شهداء الله بضم الشين، وفتح الهاء، والذال وبهمزة مرفوعة بعد المد وخفض الهاء من اسم الله تعالى {قَائِمًا بِالْقِسْطِ}

أي: بالعدل. قال جعفر الصادق و إنما كرر { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } لأن الأولى وصف وتوحيد والثاني: رسم وتعليم أي قولوا لا إله إلا هو.

{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا خُتِلَفَ لِدِينٍ أَوْتُوا لِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ لِعِلْمٍ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ لِحِسَابِ }

قوله تعالى: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } الجمهور على كسر إن إلا الكسائي فانه فتح الألف وهي قراءة ابن مسعود، و ابن عباس، وأبي رزين، و أبي العالية، و قتادة قال أبو سليمان الدمشقي: لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية، و ادعت النصارى أنه لا دين أفضل من النصرانية. نزلت هذه الآية. قال الزجاج: الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالإقامة عليه و أن يكون عادتهم وبه يجزيهم وقال شيخنا علي بن عبيد الله الدين: ما التزمه العبد لله عز وجل قال ابن قتيبة، و الإسلام الدخول في السلم أي: في الانقياد والمتابعة ومثله الاستسلام يقال: سلم فلان لأمرك واستسلم، وأسلم كما تقول أشتي الرجل أي دخل في الشتاء، وأربع دخل في الربيع وفي الذين أوتوا الكتاب ثلاثة أقوال.

أحدها: انهم اليهود، قاله الربيع.

والثاني: انهم النصارى، قاله محمد بن جعفر بن الزبير.

والثالث: انهم اليهود والنصارى، قاله ابن السائب: وقيل: الكتاب هاهنا: اسم جنس بمعنى: الكتب وفي الذين اختلفوا فيه أربعة أقوال. أحدها: دينهم.

والثاني: أمر عيسى.

والثالث: دين الإسلام وقد عرفوا صحته.

والرابع: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفوا صفته.

قوله تعالى: { إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ لِعِلْمٍ } أي: الإيضاح لما اختلفوا فيه { بَعِيًّا بَيْنَهُمْ } قال الزجاج: معناه: اختلفوا للبعي لا لقصد البرهان، وقد ذكرنا في البقرة معنى: سريع الحساب.

{ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ تَبِعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا لِكِتَابِ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ هْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ لِبَاسُ اللَّهِ بَصِيرٌ لِعِبَادِ }

قوله تعالى: { فَإِنْ حَاجُّوكَ } أي: جادلوك وخاصموك قال مقاتل: يعني اليهود وقال ابن جرير: يعني نصارى نجران في أمر عيسى، وقال غيرهما: اليهود والنصارى { فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ } قال الفراء معناه أخلصت عملي وقال الزجاج: قصدت بعبادتي إلى الله .

قوله تعالى: { وَمَنِ تَبِعَنِ } أثبت الياء في الوصل دون الوقف أهل المدينة والبصرة، وابن شنبوذ عن قبل، ووقف ابن شنبوذ ويعقوب بياء. قال الزجاج:

والأحب إلى اتباع المصحف. وما حذف من الياءات في مثل قوله تعالى: { وَمَنْ تَبِعَنِي } و { لَيْسَ أَحْزَنُ } و { رَبِّي أَكْرَمَنِي } و { رَبِّي أَهْلَانِي }. فهو على ضربين. أحدهما: ما كان مع النون، فإن كان رأس آية، فأهل اللغة يجيزون حذف الياء، ويسمون أواخر الآي الفواصل، كما أجازوا ذلك في الشعر.
قال الأعشى:

ومن شانيء كاسف باله إذا ما انتسبت له أنكرن

وهل يمنعني ارتيادي البلا د من حذر الموت أن يأتين
فأما إذا لم يكن آخر آية أو قافية فالأكثر إثبات الياء، وحذفها جيد أيضا خاصة مع النونات لأن أصل اتبعني اتبعي، ولكن النون زيدت لتسلم فتحة العين فالكسرة مع النون تنوب عن الياء فاما إذا لم تكن النون نحو غلامي، وصاحبي فالأجود إثباتها وحذفها عند عدم النون جائز. على قلته تقول هذا غلام، قد جاء غلامي وغلامي بفتح الياء وإسكانها فجاز الحذف لأن الكسرة تدل عليها.
قوله تعالى: { وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } يريد اليهود والنصارى { وَالْأُمِّيِّينَ } بمعنى مشركي العرب، وقد سبق في البقرة شرح هذا الاسم.
قوله تعالى { ءَأَسْلَمْتُمْ } قال الفراء: هو استفهام ومناه الأمر كقوله تعالى { فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ } المائة 91.

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية.

فذهبت طائفة إلى أنها محكمة، و أن المراد بها تسكين نفس النبي صلى الله عليه وسلم، عند امتناع من لم يجبه، لأنه كان يحرص على إيمانهم، ويتألم من تركهم الإجابة. وذهبت طائفة إلى أن المراد بها الاقتصار على التبليغ، وهذا منسوخ بآيه السيف.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ }

قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } قال أبو سليمان الدمشقي: عنى بذلك اليهود والنصارى قال ابن عباس والمراد بآيات الله محمد والقرآن، وقد تقدم في البقرة شرح قتلهم الأنبياء، والقسط والعدل وقرأ الجمهور { وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ } وقرأ حمزة ويقاتلون بألف وروى أبو عبيدة بن الجراح، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار، في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوه عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار. فهم الذين ذرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم وإنما وبخ بهذا

اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم تولوا أولئك، ورضوا بفعلهم { قَبَسْتَرُهُمْ } بمعنى أخبرهم وقد تقدم شرحه في «البقرة»

ومعنى حبطت: بطلت.
{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ }

قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } في سبب نزولها أربعة أقوال. أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله فقال رجلان منهم: على أي دين أنت؟ فقال على ملة إبراهيم، قالا: فانه كان يهوديا قال: فهلما إلى التوراة، فأبيا عليه فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أن رجلا من اليهود، وامرأة زنيا فكرهوا رجمهما لشرفهما، فرفعوا أمرهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، رجاء أن يكون عنده رخصة، فحكم عليها بالرجم، فقالوا: جرت علينا يا محمد ليس علينا الرجم، فقال: بيني وبينكم التوراة فجاء ابن صوريا فقرا من التوراة فلما أتى على آية الرجم، وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام: قد جاوزها ثم قام فقرأها، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، باليهوديين فرجما فغضب اليهود فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا اليهود إلى الإسلام، فقال نعمان بن أبي أوفى هلم نحاكمك إلى الأحبار فقال: بل إلى كتاب الله فقال: بل إلى الأحبار، فنزلت هذه الآية. قاله السدي. والرابع: أنها نزلت في جماعة من اليهود دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقالوا نحن أحق بالهدى منك، وما أرسل الله نبيا إلا من بني إسرائيل، قال: فأخرجوا التوراة فإني مكتوب فيها أنني نبي فأبوا فنزلت هذه الآية قاله مقاتل بن سليمان.

فأما التفسير: فالنصيب الذي أوتوه: العلم الذي علموه من التوراة، وفي الكتاب الذي دعوا إليه قولان: أحدهما: أنه التوراة، رواه عكرمة، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وقتادة. وفي الذي أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال. أحدها: ملة إبراهيم. والثاني: حد الزنى. روي عن ابن عباس. والثالث: صحة دين الإسلام، قاله السدي. والرابع: صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، قاله مقاتل. فان قيل: التولي هو الإعراض، فما فائدة تكريره؟ فالجواب من أربعة أوجه:

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَعَرَّهَمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }

قوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا } يعني: الذي حملهم على التولي والإعراض انهم قالوا: { لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ } وقد ذكرناها في «البقرة» و

{يَفْتَرُونَ} يخلقون وفي الذي اختلقوه قولان. أحدهما: أنه قولهم: لن تمسنا النار إلا أياما معدودات، قاله مجاهد، و الزجاج. والثاني: قولهم نحن أبناء الله وأحياءه، قاله قتادة: و مقاتل.

{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}

قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ} معناه: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم أي: لجزاء يوم، أو لحساب يوم. وقيل «اللام» بمعنى: «في». **{قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ إِمْلِكِ تُؤْتِي إِمْلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ إِمْلَكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**

قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ إِمْلِكِ} في سبب نزولها ثلاثة أقوال. أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما فتح مكة ووعده أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون: واليهود: هيهات فنزلت هذه الآية. قاله ابن عباس، وأنس بن مالك. والثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم، سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فنزلت هذه الآية. حكاه قتادة. والثالث: أن اليهود قالوا: والله لا نطيع رجلا جاء ينقل النبوة من بني اسرائيل إلى غيرهم، فنزلت هذه الآية. قاله أبو سليمان الدمشقي: فأما التفسير فقال الزجاج: قال الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بعلمهم: اللهم بمعنى يا الله، والميم المشددة زيدت عوضا من ياء، لأنهم لم يجدوا يا مع هذه الميم في كلمة، ووجدوا اسم الله عز وجل مستعملا ب «يا» إذا لم تذكر الميم، فعلموا أن الميم في آخر الكلمة بمنزلة «يا» في أولها والضمة التي في الهاء هي ضمة الاسم المنادى المفرد، قال أبو سليمان الخطابي: ومعنى: مالك الملك أنه بيده يؤتبه من يشاء، قال: وقد يكون معناه مالك الملوك ويحتمل أن يكون معناه وارث الملك يوم لا يدعيه مدع كقوله تعالى {إِمْلِكُ يَوْمَئِذٍ لِحَقِّ لِلرَّحْمَنِ} {الفرقان:26}.

قوله تعالى: {تُؤْتِي إِمْلَكَ مَنْ تَشَاءُ} في هذا الملك قولان.

أحدهما: أنه النبوة قاله ابن جبير: و مجاهد.

والثاني: أنه المال والعبيد والحفدة، ذكره الزجاج. وقال مقاتل: تؤتي الملك من تشاء يعني: محمدا وأمته وتنزع الملك، ممن تشاء يعني: فارس والروم {وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ} محمدا وأمته {وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} فارس والروم وبماذا يكون هذا العز والذل فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: العز بالنصر والذل بالقهر.

والثاني: العز بالغنى والذل بالفقر.

والثالث: العز بالطاعة والذل بالمعصية.

قوله تعالى: {بِيَدِكَ الْخَيْرُ} قال ابن عباس: يعني النصر والغنيمة وقيل: معناه: بيدك الخير والشر فاكتفى بأحدهما، لأنه المرغوب فيه.

قوله تعالى: { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ } في سبب نزولها أربعة أقوال. أحدها: أن عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود. فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو. فنزلت هذه الآية. رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي و أصحابه من المنافقين، كانوا يتولون اليهود، ويأتونهم بالأخبار يرجون لهم الظفر من النبي صلى الله عليه وسلم، فنهى الله المؤمنين عن مثل فعلهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن قوما من اليهود كانوا يباطنون نفرا من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فنهاهم قوم من المسلمين عن ذلك، وقالوا اجتنبوا هؤلاء اليهود فأبوا، فنزلت هذا الآية. روي عن ابن عباس أيضا. والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، هذا قول المقاتلين، ابن سليمان، و ابن حيان. فأما التفسير، فقال الزجاج: معنى قوله تعالى: { مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } أي: لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن، أي: لا يتناول الولاية، من مكان دون مكان المؤمنين، وهذا كلام جرى على المثل في المكان كما تقول زيد: دونك ولست تريد المكان ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، والخسة كالاستفال في المكان. ومعنى { فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ } أي: فالله بريء منه.

قوله تعالى { إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً } قرأ يعقوب، والمفضل عن عاصم، تقية بفتح التاء من غير ألف، قال مجاهد: إلا مصانعة في الدنيا قال أبو العالية: التقاة باللسان لا بالعمل.

فصل

والتقية رخصة، وليست بعزيمة قال الإمام أحمد: وقد قيل إن عرضت على السيف تجيب قال: لا وقال إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل فمتي يتبين الحق؟ وسنشرح هذا المعنى في «النحل» عند قوله تعالى: { إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ } النحل: 106. إن شاء الله .

{ قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

قوله تعالى: { قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ } قال ابن عباس: يعني: أتخاذ الكافرين أولياء.

{ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ }

قوله تعالى: { يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا } قال الزجاج: نصب اليوم بقوله { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } في ذلك اليوم. قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون متعلقا بالمصير، والتقدير: والى الله المصير، يوم تجد. ويجوز أن

يكون متعلقا بفعل مضمر، والتقدير: اذكر يوم نجد وفي كيفية، وجود العمل وجهان. أحدهما: وجوده مكتوبا في الكتاب. والثاني: وجود الجزاء عليه. والأمد: الغاية.

قال الطرماح:

كل حي مستكمل عدة العم ر ومود إذا انقضى أمده

يريد: غاية أجله.

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَتَبْتَغُونَ مِنْهُ مَغْفِرَةَ اللَّهِ فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَارْتَضُوا إِلَهًا وَاحِدًا وَارْتَضُوا اللَّهَ رَحِيمًا }

قوله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَتَبْتَغُونَ مِنْهُ مَغْفِرَةَ اللَّهِ فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَارْتَضُوا إِلَهًا وَاحِدًا وَارْتَضُوا اللَّهَ رَحِيمًا } في سبب نزولها أربعة أقوال. أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، وقف على قريش وقد نصبوا أصنامهم يسجدون لها فقال: يا معشر قريش «لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم» فقالوا: يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى، فنزلت هذه الآية. رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثاني: أن اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، فنزلت هذه الآية. فعرضها النبي صلى الله عليه وسلم، عليهم فلم يقبلوها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن ناسا قالوا إنا لنحب ربنا حبا شديدا فأحب الله أن يجعل لحبه علما، فأنزل هذه الآية. قاله الحسن، وابن جريج. والرابع: أن نصارى نجران، قالوا: إنما تقول هذا في عيسى حبا لله، وتعظيما له، فنزلت هذه الآية، ذكره ابن اسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، واختاره أبو سليمان الدمشقي.

{ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ }

قوله تعالى: { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ } في سبب نزولها ثلاثة أقوال. أحدها: أن عبد الله بن أبي قال لأصحابه: إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى عيسى بن مريم، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس. والثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم، دعا اليهود إلى الإسلام، فقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله مما تدعونا إليه فنزلت: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ } ونزلت هذه الآية. هذا قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران، قاله أبو سليمان الدمشقي.

{ إِنَّ اللَّهَ طَهَّرَ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَهُمَ وَمَرْيَمَ عَلَى الْعَالَمِينَ }

قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ طَهَّرَ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَهُمَ وَمَرْيَمَ عَلَى الْعَالَمِينَ } قال ابن عباس: قالت اليهود: نحن أبناء إبراهيم واسحاق، ويعقوب، ونحن على دينهم، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى اصطفاهم في اللغة: اختارهم فجعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل بما يرى لأن العرب تمثل المعلوم بالشيء المرئي، فاذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهد عيانا، فنحن نعاين الشيء الصافي أنه النقي من الكدر،

فكذلك صفوة الله من خلقه. وفيه ثلاث لغات: صفوة، و صفوة، و صفوة، و صفوة، و صفوة، تاما وأما آدم فعربي، وقد ذكرنا اشتقاقه في البقرة و أما نوح فأعجمي معرب قال أبو سليمان الدمشقي: اسم نوح السكن، وإنما سمي نوحا لكثرة نوحه، وفي سبب نوحه خمسة أقوال.

أحدها: أنه كان ينوح على نفسه قاله يزيد الرقاشي.

والثاني: أنه كان ينوح لمعاصي اهله وقومه.

والثالث: لمراجعته ربه في ولده.

والرابع: لدعائه على قومه بالهلاك.

والخامس: أنه مر بكلب مجذوم فقال: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني يا

نوح، أم عبت الكلب؟ وفي آل إبراهيم ثلاثة أقوال. أحدها: أنه من كان على

دينه، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: انهم اسماعيل، واسحاق، ويعقوب،

والأسباط، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد «آل إبراهيم» هو نفسه، كقوله:

{ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ } البقرة: 248، ذكره بعض أهل

التفسير. وفي «عمران» قولان. أحدهما: أنه والد مريم، قاله الحسن، ووهب.

والثاني: أنه والد موسى، وهارون، قاله مقاتل. وفي «آله» ثلاثة أقوال. أحدها:

أنه عيسى عليه السلام قاله الحسن. والثاني: أن آله موسى، وهارون قاله

مقاتل. والثالث: أنه المراد بآله نفسه ذكره بعض المفسرين، وإنما خص

هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء كلهم من نسلهم، وفي معنى اصطفاء هؤلاء المذكورين

ثلاثة أقوال. أحدها: أن المراد اصطفي دينهم على سائر الأديان، قاله ابن عباس

واختاره الفراء والدمشقي. والثاني: اصطفاهم بالنبوة قاله الحسن، ومجاهد، و

مقاتل. والثالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل

زمانهم، والمراد ب العالمين: عالمو زمانهم، كما ذكرنا في «البقرة».

{ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

قوله تعالى: { ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ } قال الزجاج: نصبها على البدل والمعنى:

اصطفى ذرية بعضها من بعض قال ابن الأنباري: وإنما قال بعضها: لأن لفظ

الذرية مؤنث ولو قال بعضهم: ذهب إلى معنى الذرية وفي معنى: هذه البعضية

قولان. أحدهما: أن بعضهم من بعض في التناصر، والدين لا في التناسل، وهو

معنى قول ابن عباس وقتادة. والثاني: أنه في التسلسل لأن جميعهم ذرية آدم

ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم ذكره بعض أهل التفسير قال أبو بكر النقاش:

ومعنى قوله: { ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ } أن الأبناء ذرية للآباء والآباء ذرية للأبناء

كقوله تعالى: { حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي لِقَابِكِ لِمَشْحُونٍ } [يس: 41]. فجعل الآباء

ذرية للأبناء، وإنما جاز ذلك لأن الذرية مأخوذة من ذرأ الله الخلق فسمي الولد

للوالد ذرية، لأنه ذرىء منه وكذلك يجوز أن يقال للأب ذرية للابن لأن ابنه ذرىء

منه فالفعل يتصل به من الوجهين. ومثله { يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } البقرة: 165.

فأضاف الحب إلى الله، والمعنى كحب المؤمن لله ومثله { وَيُطْعَمُونَ أَلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ } الدهر: 8. فأضاف الحب للطعام.
{ إِذْ قَالَتْ هُرِّأْتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

قوله تعالى: { إِذْ قَالَتْ هُرِّأْتُ عِمْرَانَ } في إذ قولان. أحدهما: أنها زائدة واختاره أبو عبيدة، و ابن قتيبة. والثاني: أنها أصل في الكلام وفيها ثلاثة أقوال. أحدها: أن المعنى اذكر إذ قالت امرأة عمران، قاله المبرد والاختفش. والثاني: أن العامل في { إِذْ قَالَتْ } معنى الاصطفاء فيكون المعنى اصطفى آل عمران، إذ قالت امرأة عمران، واصطفاهم إذ قالت الملائكة يا مريم، هذا اختيار الزجاج. والثالث: أنها من صلة سميع تقديره والله سميع إذ قالت: وهذا اختيار ابن جرير الطبري قال ابن عباس، واسم امرأة عمران حنة وهي أم مريم، وهذا عمران بن ماثان، وليس عمران أبي موسى، وليست هذه مريم اخت موسى، وبين عيسى، وموسى ألف وثمانمائة سنة والمحمر العتيق قال ابن قتيبة: يقال: أعتقت الغلام، وحررته سواء وأرادت أي نذرت أن أجعل ما في بطني محررا، من التعبيد الدنيا ليعبدك، وقال الزجاج: كان على اولادهم فرضا أن يطيعوهم في نذرهم فكان الرجل ينذر في ولده أن يكون خادما، في متعبدهم، وقال ابن اسحاق: كان السبب في نذرها أنه أمسك عنها الولد حتى أسنت فرأت طائرا يطعم فرخا له، فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت: اللهم لك علي إن رزقتني ولدا أن اتصدق به على بيت المقدس، فحملت بمريم وهلك عمران، وهي حامل قال القاضي: أبو يعلى: والنذر في مثل ما نذرت صحيح في شريعتنا فانه إذا نذر الإنسان أن ينشئ ولده الصغير على عبادة الله، وطاعته، وأن يعلمه القرآن والفقه وعلوم الدين صح النذر.

{ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }

قوله تعالى: { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ } قرأ ابن عامر، وعاصم إلا حفصا ويعقوب: { بِمَا وَضَعْتَ } بأسكان العين وضم التاء، وقرأ الباؤون بفتح العين، وجزم التاء قال ابن قتيبة: من قرأ بجزم التاء، وفتح العين فيكون في الكلام تقدير، و تأخير تقديره إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى، والله أعلم بما وضعت، ومن قرأ بضم التاء فهو كلام متصل من كلام أم مريم.
 قوله تعالى: { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ } من تمام اعتذارها ومعناه: لا تصلح الأنثى لما يصلح له الذكر من خدمته المسجد، والإقامة فيه لما يلحق الأنثى من الحيض، والنفاس قال السدي: ظنت أن ما في بطنها غلام فلما وضعت جارية، اعتذرت ومريم اسم أعجمي، وفي الرجيم قولان. أحدهما: الملعون، قاله

قتادة. والثاني: أنه المرجوم بالحجارة كما تقول قتيل بمعنى مقتول، قاله أبو عبيدة، فعلى هذا: سمي: رجيماً لأنه يرمى بالنجوم.

{ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُمَّ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }

قوله تعالى: { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ } قرأ مجاهد { فَتَقَبَّلَهَا } بسكون اللام { رَبُّهَا } بنصب الباء { وَأَنْبَتَهَا } بكسر ألباء وسكون التاء على معنى الدعاء، قال الزجاج: الأصل في العربية فتقبلها بتقبل حسن، ولكن قبول محمول على قبلها قبولاً يقال: قبلت الشيء: قبولاً ويجوز قبولاً: إذا رضيته { وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا } أي: جعل نشوءها نشوءاً حسناً، وجاء نباتاً على غير لفظ أنبت على معنى نبتت نباتاً حسناً، وقال ابن الأنباري لما كان أنبت يدل على نبت حمل الفعل على المعنى: فكانه قال وأنبتها: فنبتت هي نباتاً حسناً.
قال امرؤ القيس:

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة أي اذلال

أراد: أي رياضه، فلما دل «رضت» على «اذلت» حمله على المعنى. وللمفسرين في معنى النبات الحسن قولان. أحدهما: أنه كمال النشوء، قال ابن عباس: كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام. والثاني: أنه ترك الخطايا. قال قتادة: حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب، كما يصيب بنو آدم. قوله تعالى: { وَكَفَّلَهَا } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وكفَّلها بفتح الفاء خفيفه «وزكرياء» مرفوع ممدود. وروى أبو بكر عن عاصم: تشديد الفاء، ونصب «وزكرياء» وكان يمد «وزكرياء» في كل القرآن في رواية أبي بكر. وروى حفص عن عاصم تشديد الفاء «وزكرياء» مقصور في كل القرآن. وكان حمزه والكسائي يشددان «وكفَّلها» ويقصران «وزكرياء» في كل القرآن. فأما «وزكرياء» فقال الفراء: فيه ثلاث لغات. أهل الحجاز يقولون: هذا زكريا قد جاء مقصور، وزكرياء، ممدود وأهل نجد يقولون: زكري فيجرونه، ويلقون الألف. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، عن ابن دريد قال: زكري اسم أعجمي، يقال: زكري وزكرياء ممدود وزكرياء مقصور. وقال: غيره وزكري بتخفيف الباء، فمن قال: زكرياء بالمد، قال في التنبيه، زكرياوان، وفي الجمع زكرياؤون، ومن قال: زكري بالقصر، قال في التنبيه زكريان، كما تقول: مديان: ومن قال: زكري بتخفيف الباء، قال في التنبيه: زكريان الباء خفيفه وفي الجمع زكرون بطرح الباء.

الإشارة إلى كفالة زكريا مريم

قال السدي: انطلقت بها أمها في خرقها، وكانوا يقترعون على الذين يؤتون بهم، فقال زكريا وهو نبهم يومئذ: انا أحقكم بها، عندي أختها، فأبوا، وخرجوا

إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، فجرت الأقلام، وثبت قلم زكريا، فكفلها. قال ابن عباس: كانوا سبعة وعشرين رجلا، فقالوا: نطرح أقلامنا، فمن سعد قلمه مغالبا للجرية فهو أحق بها، فصعد قلم زكريا، فعلى هذا القول كانت غلبة زكريا بمساعدة قلمه، وعلى قول السدي بوقوفه في جريان الماء وقال مقاتل: كان يغلق عليها الباب، ومعه المفتاح، لا يأمن عليه أحدا، وكانت إذا حاضت، أخرجها إلى منزلة تكون مع أختها أم يحيى، فإذا طهرت ردها إلى بيت المقدس. والأكثر على أنه كفلها منذ كانت طفلة بالقرعة. وقد ذهب قوم إلى أنه كفلها عند طفولتها بغير قرعة، لأجل أن أمها ماتت، وكانت خالتها عنده، فلما بلغت، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها، وإنما كان الاقتراع بعد ذلك بمدة لأجل سنة أصابتهم. فقال محمد بن إسحاق. كفلها زكريا إلى أن أصابت الناس سنة، فشكا زكريا إلى بني إسرائيل ضيق يده فقالوا: ونحن أيضا كذلك، فجعلوا يتدافعونها حتى اقترعوا، فخرج السهم على جريح النجار، وكان فقيرا، وكان يأتيها باليسير، فينمي، فدخل زكريا، فقال: ما هذا؟ على قدر نفقة جريح فمن اين هذا؟ قالت هو من عند الله. والصحيح ما عليه الأكثر، وأن القوم تشاحوا على كفالتها، لأنها كانت بنت سيدهم وإمامهم عمران، كذلك قال قتادة في آخرين وأن زكريا ظهر عليهم بالقرعة منذ طفولتها. فأما المحراب فقال أبو عبيدة: المحراب سيد المجالس. ومقدمها، وأشرفها، وكذلك هو من المسجد. وقال الأصمعي: المحراب هاهنا: الغرفة. وقال الزجاج: المحراب في اللغة: الموضع العالي الشريف.

قال الشاعر:

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقي سلما

قوله تعالى: { وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا } قال ابن عباس: ثمار الجنة، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف وهذا قول الجماعة. قوله تعالى: { أَنَّى لَكَ هَذَا } أي: من اين؟ قال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج، أغلق عليها سبعة، أبواب فإذا دخل وجد عندها رزقا. وقال الحسن: لم ترتضع ثديا قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول زكريا: أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فتكلمت وهي صغيرة. وزعم مقاتل أن زكريا استأجر لها ظئرا، وعلى ما ذكرنا عن ابن إسحاق يكون قوله لها: أنى لك هذا لاستكثار ما يرى عندها وما عليه الجمهور أصح. والحساب في اللغة: التقدير والتصديق.

{ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ }

قوله تعالى: { هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ } قال المفسرون: لما عاين زكريا هذه الآية العجبية من رزق الله تعالى مريم الفاكهة في غير حينها، طمع في الولد على

الكبر. و { مِنْ لُدُنِكَ } بمعنى: من عندك والذرية تقال للجمع وتقال للواحد والمراد بها هاهنا الواحد قال الفراء: وإنما قال طيبة لتأنيث الذرية والمراد بالطيبة: النقية الصالحة والسميع: بمعنى السامع وقيل: أراد مجيب الدعاء. { فَتَادَتْهُ لِمَلِيكَتُهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي لِمْحَرَابٍ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } {

قوله تعالى: { فَتَادَتْهُ لِمَلِيكَتُهُ } قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابو عمرو، وابن عامر فنادته: بالتاء وقرأ حمزة، والكسائي فناداه بألف مماله قال ابو علي هو كقوله تعالى: { وَقَالَ نِسْوَةٌ } [يوسف: 20]. وقرأ علي، وابن مسعود، وابن عباس، فناداه بألف وفي الملائكة قولان. أحدهما: جبريل وحده قال السدي، و مقاتل، ووجهه أن العرب تخبر عن الواحد بلفظ الجمع تقول: ركبت في السفن، وسمعت هذا من الناس. والثاني: انهم جماعة من الملائكة وهو مذهب قوم منهم. ابن جرير الطبري، وفي المحراب قولان. أحدهما: أنه المسجد والثاني: أنه قبلة المسجد. وفي تسمية محراب الصلاة محرابا ثلاثة أقوال. أحدها: لانفراد الإمام فيه وبعده من الناس ومنه قولهم: فلان حرب لفلان: إذا كان بينهما مباغضة وتباعده ذكره ابن الأنباري عن أبيه عن أحمد بن عبيد. والثاني: أن المحراب في اللغة أشرف الأماكن، و أشرف المسجد مقام الإمام. والثالث: أنه من الحرب فالمصلي محارب للشيطان.

قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِعَلَمٍ } قرأ الاكثر بفتح الألف على معنى: فنادته الملائكة بأن الله فلما حذف الجار منها وصل الفعل إليها فنصبها، وقرأ ابن عامر، وحمزة بكسر إن فأضمر القول، والتقدير فنادته: فقالت: إن الله يبشرك، وقرأ ابن كثير، و أبو عمرو يبشرك بضم الياء، وفتح الباء والتشديد في جميع القرآن إلا في { حم * عسق } { يُبَشِّرُكِ اللَّهُ عِبَادَهُ } [الشورى: 23] فأنهما فتحا الياء وضما الشين وخففاها فأما نافع وابن عامر وعاصم فشدد كل القرآن، وقرأ حمزة يبشر خفيفا في كل القرآن إلا قوله تعالى:

{ فِيمَ تُبَشِّرُونَ } [الحج: 54]. وقرأ الكسائي يبشر مخففة في خمسة مواضع في { ءَالَ عِمْرَانَ } في قصة زكريا وقصة مريم وفي بني اسرائيل وفي الكهف وفي حم عسق قال الزجاج: وفي يبشرك ثلاث لغات أحدها: يبشرك بفتح الباء وتشديد الشين، والثانية: يبشرك بإسكان الباء وضم الشين، والثالثة: يبشرك بضم الياء وإسكان الباء، فمعنى: يبشرك بالتشديد و يبشرك: بضم الياء البشارة ومعنى: يبشرك بفتح الياء يسرك ويفرحك يقال: بشرت الرجل أبشره إذا أفرحته وبشرك الرجل يبشرك إلا فرح.

وأنشد الأخفش والكسائي:

وإذا لقيت الباهشين إلى العلى غبرا أكفهم بقاع محل

فأعنتهم وابتشروا بما بشروا به و إذا هم نزلوا بضعك فانزل

فهذا على بشر يبشر إذا فرح وأصل هذا كله أن بشة الإنسان تنبسط عند السرور ومنه قولهم: يلقاني ببشر أي بوجه منبسط، وفي معنى تسميته يحيى خمسة أقوال.

أحدها: لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه قاله ابن عباس.

والثاني: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان قاله قتادة.

والثالث: لأنه أحياه بين شيخ وعجوز، قاله مقاتل.

والرابع: لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيتها قاله الزجاج.

والخامس: لأن الله أحياه بالطاعة فلم يعص، ولم يهمل قاله الحسن بن الفضل،

وفي الكلمة قولان. أحدهما: أنها عيسى، وسمي كلمة: لأنه بالكلمة كان وهي

كن وهذا قول ابن عباس، والحسن، و مجاهد، و قتادة والسدي، و مقاتل. وقيل:

إن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر، وقتل يحيى قبل رفع عيسى، والثاني:

أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي عبيدة في آخرين، ووجهه أن العرب

تقول أنشدني: فلان كلمة أي قصيدة، وفي معنى السيد: ثمانية أقوال.

أحدها: أنه الكريم على ربه، قاله ابن عباس، و مجاهد.

والثاني: أنه الحليم التقي، روي عن ابن عباس، أيضا وبه قال الضحاك.

والثالث: أنه الحكيم، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، وأبو

الشعفاء، والربيع و مقاتل.

والرابع: أنه الفقيه العالم قاله سعيد بن المسيب.

والخامس: أنه التقي رواه سالم عن ابن جبير.

والسادس: أنه الحسن الخلق رواه أبو روق، عن الضحاك.

والسابع: أنه الشريف قاله ابن زيد.

والثامن: أنه الذي يفوق قومه في الخير، قاله الزجاج، وقال ابن الأنباري السيد

ها هنا: الرئيس، والإمام في الخير فأما الحضور فقال ابن قتيبة: هو الذي لا يأتي

النساء وهو فعول بمعنى مفعول، كانه محصور عنهن، أي: محبوس عنهن،

وأصل الحصر الحبس ومما جاء على فعول بمعنى مفعول ركوب بمعنى

مركوب، وحلوب بمعنى محلوب وهيوب بمعنى مهيب واختلف المفسرين لماذا

كان لا يأتي النساء على أربعة أقوال. أحدها:

أنه لم يكن له ما يأتي به النساء فروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي

صلى الله عليه وسلم، أنه قال كل بني آدم يأتي يوم القيامة، وله ذنب إلا ما كان

من يحيى بن زكريا قاله ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يده إلى

الأرض، فأخذ عودا صغيرا، ثم قال: وذلك أنه لم يكن له مال للرجال إلا مثل هذا

العود، ولذلك سماه الله سيدا وحضورا وقال سعيد بن المسيب: كان له كالنواة.

والثاني: أنه كان لا ينزل الماء، قاله ابن عباس، و الضحاك. والثالث: أنه كان لا يشتهي النساء قاله الحسن، وقتادة، والسدي، والرابع: أنه كان يمنع نفسه من شهواتها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: { وَتَبَيَّنَ مِنَ الصَّالِحِينَ } قال ابن الأنباري: معناه: من الصالحي الحال عند الله.

{ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَهُرَأَيْ عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ }

قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ } أي: كيف يكون.

قال الكمي:

أنى ومن أين أبك الطرب

قال العلماء: منهم الحسن و ابن الأنباري وابن كيسان أنه قال من أي وجه يكون لي الولد أيكون بزالة العقر عن زوجتي ورد شبابي، أم يأتي ونحن على حالنا فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا على وجه الشك قال الزجاج يقال: غلام بين الغلومية وبين الغلامية، وبين الغلومة قال شيخنا: أبو منصور اللغوي: الغلام فعال من الغلمة، وهي شدة شهوة النكاح ويقال للكهل غلام. قالت ليلي الأخيلية تمدح الحجاج: غلام إذا هز القناة سقاها

وكان قولهم للكهل غلام أي: قد كان مرة غلاما، وقولهم للطفل غلام على معنى التفاؤل أي: سيصير غلاما قال: وقيل الغلام الطار الشارب، ويقال للجارية: غلامة قال الشاعر: يهان لها الغلام والغلام

قوله تعالى: { وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ } أي: وقد بلغت الكبر قال الزجاج: كل شيء بلغته فقد بلغك وفي سنة يؤمئذ ستة أقوال. أحدها: أنه كن ابن مائة وعشرين سنة وامراته بنت ثمان وتسعين سنة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه كان ابن بضع وسبعين سنة، قاله قتادة.

والثالث: ابن خمس وسبعين، قاله مقاتل.

والرابع: ابن سبعين. حكاه فضيل ابن غزوان.

والخامس ابن خمس وستين.

والسادس: ابن ستين حكاهما الزجاج، قال اللغويون: والعافر من الرجال والنساء الذي لا يأتيه الولد، وإنما قال: عافر ولم يقل عاقرة لأن الأصل في هذا

الوصف للمؤنث، والمذكر فيه كالمستعار فأجري مجرى طالق «حائض» هذا قول الفراء.

{ قَالَ رَبِّ جَعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَ لُكْرًا رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ }

قوله تعالى: { رَبِّ جَعَلْ لِي آيَةً } أي: علامة على وجود الحمل، وفي علة سؤاله آية قولان. أحدهما: أن الشيطان جاءه فقال: هذا الذي سمعت من صوت الشيطان، ولو كان من وحي الله لأوحاه إليك كما يوحى إليك غيره، فسأل. الآية. قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنه إنما سأل الآية على وجود الحمل ليبادر بالشكر، ولتتجمل السرور لأن شأن الحمل لا يتحقق بأوله فجعل الله آية وجود الحمل حبس لسانه ثلاثة أيام، فأما الرمز فقال الفراء: الرمز بالشفيتين والحاجبين والعينين وأكثره في الشفتين، قال ابن عباس. جعل يكلم الناس بيده، وإنما منع من مخاطبة الناس، ولم يحبس عن الذكر لله تعالى: وقال ابن زيد: كان يذكر الله ويشير إلى الناس، وقال عطاء بن السائب، اعتقل لسانه من غير مرض، وجمهور العلماء على أنه إنما اعتقل لسانه آية، على وجود الحمل، وقال قتادة والربيع بن أنس: كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة بالبشارة.

قوله تعالى: { وَسَبِّحْ } قال مقاتل: صل قال الزجاج يقال: فرغت من سبحتي أي: من صلاتي وسميت الصلاة: تسبيحا لأن التسبيح تعظيم الله وتبرئته، من السوء فالصلاة يوصف فيها بكل ما يبرئه من السوء.

قوله تعالى: { بِالْعَشِيِّ } العشي: من حين نزول الشمس إلى آخر النهار: { وَالْإِبْكَرِ } ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى قال الشاعر:
فلا الظل في برد الضحى تستطيعه ولا الفياء من برد العشي يذوق
قال: الزجاج يقال أبكر الرجل يبكر إبكارا، وبكر يبكر تبكيرا، وبكر يبكر. في كل شيء تقدم فيه.

{ وَإِذْ قَالَتِ لِمَلِيكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ طَهَّرَكِ وَطَهَّرَكِ وَ طَهَّرَكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ }

قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَتِ لِمَلِيكَةُ يَمْرَيْمُ * مَرِيَمُ إِنَّ اللَّهَ طَهَّرَكِ } قال جماعة من المفسرين: المراد بالملائكة: جبريل وحده. وقد سبق معنى الاصطفاء. وفي المراد بالتطهير هاهنا أربعة أقوال.

أحدها: أنه التطهير من الحيض، قاله ابن عباس، وقال السدي: كانت مريم لا تحيض وقال قوم من الحيض والنفاس.

والثاني: من مس الرجال روي عن ابن عباس أيضا.

والثالث: من الكفر، قاله الحسن، و مجاهد.

والرابع: من الفاحشة والإثم، قاله مقاتل وفي هذا الاصفاء. الثاني: أربعة أقوال.

أحدها: أنه تأكيد للأول. والثاني: أن الأول للعبادة، والثاني: لولادة عيسى عليه السلام، والثالث: أن الاصطفاء الأول اختيار مبهم وعموم يدخل فيه صوالح من النساء، فأعاد الاصطفاء لتفضيلها على نساء العالمين. والرابع: أنه لما أطلق الاصطفاء. الأول: أبان بالثاني أنها مصطفاة على النساء دون الرجال، قال ابن عباس والحسن وابن جريج: اصطفاه على عالمي زمانها قال ابن الأنباري: وهذا قول الأكثرين.

{ **يَمْرِيْمُ فُئْتِي لِرَبِّكَ وَ سَجْدِي وَ رُكْعِي مَعَ الرُّكْعِيْنَ** }

قوله تعالى: { **لَعَلِّمِينَ يَمْرِيْمُ فُئْتِي لِرَبِّكَ** } قد سبق شرح القنوت في «البقرة» وفي المراد به ها هنا أربعة أقوال.

أحدها: أنه العبادة، قاله الحسن.

والثاني: طول القيام في الصلاة قاله مجاهد.

والثالث: الطاعة، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد.

والرابع: الإخلاص، قاله سعيد بن جبير، وفي تقديم السجود على الركوع أربعة أقوال.

أحدها: أن الواو لا تقتضي الترتيب، وإنما تؤذن بالجمع فالركوع مقدم، قاله الزجاج في آخرين.

والثاني: أن المعنى استعملي السجود في حال والركوع في حال لا أنها يجتمعان في ركعة فكأنه حث لها على فعل الخير.

والثالث: أنه مقدم ومؤخر، والمعنى: اركعي: واسجدي كقوله تعالى: { **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** } [آل عمران: 55]. ذكرهما ابن الأنباري.

والرابع: أنه كذلك كان في شريعتهم تقديم السجود على الركوع ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال مقاتل: ومعناه: اركعي مع المصلين قراء بيت المقدس

قال مجاهد سجدت حتى قرحت.

{ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ لُغَيْبٍ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقَلَّمَهُمْ آيُهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ** * **إِذْ قَالَتِ لِمَلِيكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ سَلِّمِي لِمَسِيْحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ لُمُقَرَّبِينَ** * **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي لَمَهْدٍ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ** }

قوله تعالى: { **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ لُغَيْبٍ** } «ذلك» إشارة على ما تقدم من قصة زكرياء ويحيى، وعيسى، ومريم، و الأنبياء الأخبار، والغيب ما غاب عنك، والوحي كل شيء دللت به من كلام أو كتاب، أو إشارة، أو رسالة قاله ابن قتبية، والوحي في القرآن على أوجه تراها في كتابنا الموسوم ب «الوجوه والنظائر» مونقة وفي الأقلام ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها التي يكتب بها، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي. والثاني: أنها العصي قاله الربيع بن أنس.

والثالث: أنها القداح وهو اختيار ابن قتيبة، وكذلك قال الزجاج: هي قداح جعلوا عليها علامات يعرفونها على جهة القرعة، وإنما قيل للسهم. القلم لأنه يقلم أي يبرى وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء فقد قلمته، ومنه القلم الذي يكتب به لأنه قلم مرة بعد مرة، ومنه قلمت أظفاري. قال ومعني {أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم وهو الضمان للقيام بأمرها. ومعني {لَدَيْهِمْ} عندهم وقد سبق شرح كفالتهم لها أنفاً وفي المراد بالكلمة هاهنا ثلاثة أقوال. أحدها: أنه قول الله له كن فكان، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنها بشارة الملائكة مريم بعيسى، حكاه أبو سليمان. والثالث: أن الكلمة اسم لعيسى وسمي كلمة: لأنه كان عن الكلمة، وقال القاضي أبو يعلى: لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلمة من الله تعالى، وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال.

أحدها: أنه لم يكن لقدمه أخمص والأخص ما يتجافى عن الأرض، من باطن القدم، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: أنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه مسح بالبركة، قاله الحسن، وسعيد.

والرابع: أن معنى: المسيح: الصديق، قاله مجاهد، وإبراهيم النخعي، وذكره اليزيدي.

قال أبو سليمان الدمشقي: ومعني: هذا أن الله مسحه فطهره من الذنوب. والخامس: أنه كان يمسح الأرض، أي: يقطعها، ذكره ثعلب، وبيانه أنه كان كثير السياحة.

والسادس: أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً، بالدهن قاله أبو سليمان الدمشقي، وحكاه ابن القاسم. وقال أبو عبيد المسيح: في كلام العرب على معنيين أحدهما المسيح الدجال، والأصل فيه الممسوح لأنه ممسوح أحد العينين، والمسيح عيسى، وأصله بالعبرانية مشيحا، بالشين فلما عربته العرب، أبدلت من شينه سينا كما قالوا: موسى وأصله بالعبرانية: موشى قاله ابن الأنباري، وإنما بدأ بلقبه فقال: المسيح عيسى بن مريم لأن المسيح أشهر من عيسى، لأنه قل أن يقع على سمي يشته به، وعيسى قد يقع على عدد كثير فقدمه لشهرته ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهر من أسمائهم فأما قوله عيسى بن مريم، فإنما نسبه إلى أمه لينفي، ما قال عنه الملحدون من النصارى، إذ أضافوه إلى الله تعالى.

قوله تعالى: {وَجِيهًا} قال ابن زيد: التوجيه في كلام العرب المحبب المقبول وقال ابن قتيبة الوجه ذوالجاه، وقال الزجاج: هو ذو المنزلة الرفيعة عند ذوي القدر، والمعرفة يقال قد وجه الرجل يوجه، وجاهة ولفلان جاه عند الناس أي منزلة رفيعة.

قوله تعالى: { وَمِنْ أُمَّةٍ قَدَّامَةٌ } قال قتادة: عند الله يوم القيامة، والمهد مضجع الصبي في رضاعه، وهو مأخوذ من التمهيد، وهو التوطئه، وفي تكليمه للناس في تلك الحال قولان. أحدهما: لتبرئه أمه مما قذفت به، والثاني: لتحقيق معجزته الدالة على نبوته، قال ابن عباس: تكلم ساعة في مهده ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق. { وَكَهَلًا } قال: ابن ثلاثين سنة ارسله الله تعالى، فمكث في رسالته ثلاثين شهرا، ثم رفعه الله، وقال وهب بن منبه: جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة، فمكث في نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله قال ابن الأنباري: كان عليه السلام قد زاد على الثلاثين، ومن أربى عليها فقد دخل في الكهولة، والكهل عند العرب الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلا لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم قداكتهل النبات، وقال ابن فارس الكهل الرجل حين وخطه الشيب، فان قيل: قد علم أن الكهل يتكلم فعنه ثلاثة اجوبة. أحدها: أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي أنه يبلغ الكهولة، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: { وَكَهَلًا } قال ذلك: بعد نزوله من السماء، والثاني: أنه أخبرهم أن الزمان يؤثر فيه وأن الايام تنقله من حال إلى حال، ولو كان إليها لم يدخل عليه هذا التغير ذكره ابن جرير الطبري. والثالث: أن المراد بالكهل الحليم قاله مجاهد.

{ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }

قوله تعالى: { قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ } في علة قولها، هذا قولان. أحدهما: أنها قالت هذا تعجبا واستفهاما لا شكاً وإنكاراً على ما أشرنا إليه في قصة زكريا وعلى هذا الجمهور، والثاني: أن الذي خاطبها كان جبريل، وكانت تظنه آدميا يريد بها سوءا ولهذا قالت: { أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا } مريم: 18. فلما بشرها لم تتيقن صحة قوله لأنها لم تعلم أنه ملك، فلذلك قالت: { أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ } قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: { وَلَمْ يَمَسِّنِي } أي: ولم يقربني زوج، والمس: الجماع، قاله ابن فارس. وسمي البشر: بشرا، لظهورهم، والبشرة: ظاهر جلد الإنسان، وأبشرت الارض: أخرجت نباتها، وبشرت الأديم: إذا قشرت وجهه، وتباشير الصبح: أوائله. قال: يعني جبريل: { كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ } أي: بسبب، وبغير سبب. وباقي الآية مفسر في البقرة.

{ وَبُعَلَّمُهُ لِكِتَابٍ وَ لِحِكْمَةٍ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ }

قوله تعالى: { وَبُعَلَّمُهُ لِكِتَابٍ } قرأ الأكترون، ونعلمه بالنون وقرأ نافع، وعاصم بالياء فعطفاه على قوله يبشرك، وفي الكتاب قولان. أحدهما: أنه كتب النبيين وعلمهم، قاله ابن عباس. والثاني: الكتابة، قاله ابن جريج، ومقاتل، قال ابن عباس: والحكمة الفقه وقضاء النبيين.

{ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي لِمَوْتِي بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَتَّبِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: { وَرَسُولًا } قال الزجاج: ينتصب على وجهين. أحدهما: ونجعله

رسولا والاختيار عندي، ويكلم الناس رسولا.

قوله تعالى: { أَنِّي أَخْلُقُ } قرأ الأكثرون أني بالفتح فجعلوها بدلا من آية فكأنه قال: قد جئتكم بأنني أخلق لكم، وقرأ نافع بالكسر قال أبو علي: يحتمل وجهين. أحدهما: أن يكون مستأنفا. والثاني: أنه فسر الآية بقوله إني أخلق أي أصور وأقدر قال ابن عباس: أخذ طينا، وصنع منه خفاشا، ونفخ فيه فاذا هو يطير، ويقال: لم يصنع غير الخفاش، ويقال إن بني إسرائيل نعتوه بذلك، لأن الخفاش عجيب الخلق. وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا الخفاش: فسألوه أشد الطير خلقا؛ لأنه يطير بغير ريش. وقال وهب: كان الذي صنعه يطير ما دام الناس ينظرونه، فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليميز فعل الخلق من فعل الخالق، والأكثرون قرؤوا { فَيَكُونُ طَيْرًا } وقرأ نافع هاهنا: وفي المائدة طائرا قال أبو علي حجة الجمهور قوله تعالى: { كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ } ولم يقل كهية الطائر ووجهة قراءة نافع أنه أراد يكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلقه طائرا، وفي الأكمة أربعة أقوال.

أحدها: أنه الذي يولد أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وسعيد عن قتادة،

وبه قال اليزيدي: و ابن قتيبة، و الزجاج.

والثاني: أنه الأعمى ذكره ابن جريج عن ابن عباس، ومعمر عن قتادة، وبه قال

الحسن والسدي، وحكى الزجاج عن الخليل: أن الأكمة هو الذي يولد أعمى،

وهو الذي يعمى وإن كان بصيرا.

والثالث: أنه الأعمش، قاله عكرمة.

والرابع: أنه الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، قاله مجاهد، و الضحاك،

والأبرص، الذي به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام، علم

الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك إلا أنه ليس في الطب، إبراء الأكمة،

والأبرص، وكان ذلك دليلا على صدقه.

قال وهب: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفا،

وإنما كان يداويهم بالدعاء، وذكر المفسرون أنه أحيأ أربعة أنفس من الموت،

وعن ابن عباس أن الإربعة كلهم بقي حتى ولد له إلا سام بن نوح.

قوله تعالى: { وَأَتَّبِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ } قال سعيد بن جبیر: كان عيسى إذا كان في

المكتب يخبرهم بما يأكلون، ويقول للغلام يا غلام إن أهلك قد هينوا، لك كذا،

وكذا من الطعام فتطعمني منه وقال مجاهد: بما أكلتم البارحة، و بما خبأتم

منه، وعلى هذا المفسرون إلا أن قتادة كان يقول، وأنبتكم بما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها وكان اخذ عليهم أن يأكلوا منها، ولا يدخروا فلما خانوا مسخوا خنازير.

{ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا جِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ }

قوله تعالى: { وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } قال الزجاج: نصب «صدقاً» على الحال أي وجئتمكم مصدقاً { وَلَا جِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } قال قتادة: كان قد حرم عليهم موسى الأبل والثروب وأشياء من الطير، فأحلها عيسى. قوله تعالى: و { جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ } أي: بآيات تعلمون بها صدقي، وإنما وحد لأن الكل من جنس واحد { مِّن رَّبِّكُمْ } أي: من عند ربكم.

{ فَلَمَّا أَحْسَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَنَهْدُ يَأْتَا مُسْلِمُونَ }

قوله تعالى: { فَلَمَّا أَحْسَسَّ عَيْسَىٰ } أي: علم قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: أحسست بالشيء، وحسست به. وقول الناس في المعلومات «محسوسات» خطأ، إنما الصواب «المحسبات» فأما المحسوسات، فهي المقتولات، يقال حسه: إذا قتله. والأنصار: الأعوان. و «إلى» بمعنى «مع» في قول الجماعة، قال الزجاج: وإنما حسنت في موضع «مع» لأن «إلى» غاية و «مع» تضم الشيء بالشيء. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: من أنصاري إلى أن أبين أمر الله. واختلفوا في سبب استنصاره بالحواريين، فقال مجاهد: لما كفر به قومه، وأرادوا قتله، استنصر الحواريين. وقال غيره: لما كفروا به، وأخرجوه من قريتهم، استنصر الحواريين. وقيل: استنصرهم، لإقامة الحق، وإظهار الحجة والجمهور على تشديد «ياء» الحواريين. وقرأ الجوني والجحدري و أبو حيوة: الحواريون بتخفيف الياء وفي معنى: الحواريين ستة أقوال. أحدها: أنهم الخواص الأصفياء، قال ابن عباس: الحواريون أصفياء عيسى، وقال الفراء: كانوا خاصة عيسى، وقال الزجاج: الحواريون في اللغة الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، وكذلك الدقيق الحواري، إنما سمي بذلك: لأنه ينقى من لباب البر، وخالسه قال حذاق: اللغويين الحواريون صفوة الأنبياء، الذين خلصوا، وأخلصوا في تصديقهم، ونصرتهم ويقال: عين حوراء إذا اشتد بياضها، وخلص واشتد سوادها، ولا يقال: امرأة حوراء إلا أن تكون مع حور عينها بيضاء. والثاني: أنهم البيض الثياب روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم سموا بذلك لبياض ثيابهم. والثالث: أنهم القصارون سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها، قال الضحاك، و مقاتل، الحواريون هم القصارون

قال اليزيدي: ويقال للقصارين الحواريون، لأنهم يبيضون الثياب، ومنه سمي:
الدقيق الحواري والعين الحوراء النقية المحاجر، والرابع: الحواريون
المجاهدون.

وأنشدوا:

ونحن أناس يملأ البيض هامنا ونحن حواريون حين نزاحف

جماجنا يوم اللقاء تراسنا إلى الموت نمشي ليس فينا تحانف

والخامس: الحواريون الصيادون، والسادس: الحواريون الملوك، حكى هذه
الاقوال الثلاثة ابن الأنباري، قال ابن عباس: وعدد الحواريين اثنا عشر رجلا وفي
صناعتهم قولان. أحدهما: انهم كانوا يصطادون السمك، رواه سعيد بن جبير،
عن ابن عباس. والثاني: انهم كانوا يغسلون الثياب، قاله الضحاك، و أبو أرتاة.

{ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَتَّبِعْنَا الرُّسُولَ وَكُنْتُمْ مَعَ الشَّاهِدِينَ }

قوله تعالى: **{ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ }** هذا قول الحواريين، والذي أنزل الانجيل
والرسول عيسى، وفي المراد بالشاهدين خمسة أقوال. أحدها: انهم محمد
صلى الله عليه وسلم، وأمه من المؤمنين، رواه أبو صالح، عن ابن عباس.
والثالث: انهم الأنبياء لأن كل نبي شاهد أمته، قاله عطاء. والرابع: أن الشاهدين
الصادقون، قاله مقاتل. والخامس: انهم الذين شهدوا للأنبياء بالتصديق فمعنى
الآية: صدقنا: واعترفنا فإكتبنا مع من فعل فعلنا هذا قول الزجاج.

{ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ لِّمَكِرِينَ }

قوله تعالى: **{ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ }** قال الزجاج: المكر من الخلق خبث، وخداع
ومن الله عز وجل المجازاة فسمي باسم ذلك لأنه مجازاة عليه كقوله تعالى:
{ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ } البقرة: 15. **{ وَاللَّهُ خَيْرٌ لِّمَكِرِينَ }** آل عمران: 54.
لأن مكره مجازاة ونصر للمؤمنين قال ابن عباس: ومكرهم أن اليهود أرادوا
قتل عيسى، فدخل خوخة فدخل رجل منهم، فألقى عليه شبه عيسى، ورفع
عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم ظنوه عيسى فقتلوه.

**{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسِي إِيَّيْ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ تَبِعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ لِقَائِمَةٍ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }**

قوله تعالى: **{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسِي * عِيسَى إِيَّيْ مُتَوَفِّيكَ }** قال ابن قتيبة:
التوفي من استيفاء العدد، يقال: توفيت، واستوفيت، كما يقال: تيقنت الخبر،
واستيقنته، ثم قيل للموت: وفاة وتوف. وأنشد أبو عبيدة:
إن بني الأردن ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد ولا توفاهم
قريش في العدد

أي: لا تجعلهم وفاء لعددها، والوفاء التمام وفي هذا التوفي قولان. أحدهما: أنه الرفع إلى السماء، والثاني: أنه الموت فعلى القول الاول، يكون نظم الكلام مستقيماً من غير تقديم، و لا تأخير، ويكون معنى متوفيك قابضك من الأرض، وافيا تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً، هذا قول الحسن، وابن جريج، وابن قتبية، واختاره الفراء. ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى: { فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ } [المائدة: 117]. أي: رفعتني إلى السماء من غير موت، لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه، لا بعد موته وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير، تقديره إني رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك هذا قول الفراء، و الزجاج في آخرين. فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته. قال سعيد بن المسيب: رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وقال مقاتل: رفع من بيت المقدس ليلة القدر، في رمضان، وقيل عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين، ويقال ماتت قبل رفعه. قوله تعالى: { وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } فيه قولان. أحدهما: أنه رفعه من بين أظهرهم.

والثاني: منعهم من قبله، وفي الذين اتبعوه قولان.

أحدهما: انهم المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم صدقوا بنبوته، وأنه روح الله، وكلمته هذا قول قتادة والربيع، وابن السائب. والثاني: انهم النصارى فهم فوق اليهود، واليهود مستذلون مقهورون قاله ابن زيد.

قوله تعالى: { فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ } يعني: الدين.

{ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ }

قوله تعالى: { تَخْتَلِفُونَ قَوْمًا } قيل: هم اليهود والنصارى وعذابهم في الدنيا بالسيف والجزية وفي الآخرة بالنار.

{ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }

قوله تعالى: { فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ } قرأ الأكثرون بالنون، وقرأ الحسن، وقيتادة، وحفص عن عاصم: فيوفيههم بالياء معطوفا على قوله تعالى: { إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ * عِيسَىٰ }

{ ذَلِكَ تَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ }

قوله تعالى: { ذَلِكَ تَلُوهُ عَلَيْكَ } يعني: ما جرى من القصص { مِنَ الْآيَاتِ } يعني الدلالات على صحة رسالتك إذ كانت أخبارا لا يعلمها أمي { وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ }

{ قال ابن عباس هو القرآن قال الزجاج: معناه ذو الحكمة في تأليفه ونظمه، وإبانة الفوائد منه.

{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }
قوله تعالى: { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ } قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية مخاصمة، وقد نجران من النصارى للنبي صلى الله عليه وسلم، في أمر عيسى وقد ذكرناه في أول السورة فأما تشبيه عيسى بآدم، فلأنهما جميعا من غير أب.

قوله تعالى: { خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ } يعني: آدم قال ثعلب، وهذا تفسير لأمر آدم وليس بحال.

قوله تعالى: { ثُمَّ قَالَ لَهُ } يعني لآدم، وقيل لعيسى { كُنْ فَيَكُونُ } أي: فكان: فأريد بالمستقبل الماضي كقوله تعالى:

{ وَابْتِغُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ } أي: ماتلت الشياطين.

{ لِحَقِّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }

قوله تعالى: { لِحَقِّ مِنْ رَبِّكَ } قال الزجاج: الحق مرفوع على خبر ابتداء محذوف، المعنى: الذي أنباتك به في قصة عيسى الحق من ربك { فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } أي: الشاكين والخطاب للنبي خطاب للخلق، لأنه لم يشك.

{ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَتَّلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ }

قوله تعالى: { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ } في هاء فيه قولان. أحدهما: أنها ترجع إلى عيسى، والثاني: إلى الحق والعلم البيان والإيضاح.

قوله تعالى: { فَقُلْ تَعَالَوْا } قال ابن قتبية: تعالى: تفاعل، من علوت، ويقال للثنين من الرجال والنساء: تعاليا، وللنساء: تعالين. قال الفراء: أصلها من العلو، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها، صارت عندهم بمنزلة هلم حتى استجازوا أن يقولوا للرجل، وهو فوق شرف تعالى أي: اهبط وإنما أصلها الصعود كما المفسرون أراد بآبائنا فاطمة، والحسن والحسين وروى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية { تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبَاءَكُمْ } دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي.

قوله تعالى: { وَأَنْفُسَنَا } فيه خمسة اقوال.

أحدها: أراد علي بن أبي طالب قاله الشعبي، والعرب تخبر عن ابن العم بانه نفس ابن عمه.

والثاني: أراد الاخوان قاله ابن قتبية.

والثالث: أراد أهل دينه قاله أبو سليمان الدمشقي.

والخامس: أراد القرابة القريبة، ذكرهما علي بن أحمد النيسابوري، فأما الابتهاال، فقال ابن قتيبة: هو التداعي باللعن يقال: عليه بهلة الله وبهلته أي: لعنته وقال الزجاج: معنى الابتهاال في اللغة المبالغة في الدعاء، وأصله الالتعان يقال: بهله الله، أي: لعنه وأمر بالمباهلة، بعد إقامة الحجة قال جابر بن عبد الله: قدم وفد نجران فيهم السيد والعاقب، فذكر الحديث إلى أن قال: فدعاهما إلى الملاعنة فواعده أن يفادياه، فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيباه فأقرا له بالخراج فقال: والذي يعثني بالحق لو فعلا، لأمطر الوادي عليهم نارا.

{ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ لَقَصُّ حَقِّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ أَعَزُّ لِحَكِيمٍ** }

قوله تعالى: { **وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ** } قال الزجاج: دخلت من هاهنا: توكيدا ودليلا على نفي جميع ما ادعى المشركون من الآلهة.

{ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمُفْسِدِينَ** }

قوله تعالى: { **فَإِنْ تَوَلَّوْا** } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: عن الملاعنة قاله مقاتل.

والثاني: أنه عن البيان الذي أتى به النبي، صلى الله عليه وسلم، قاله الزجاج.

والثالث: عن الإقرار بوحداية الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد، قاله أبو سليمان

الدمشقي، وفي الفساد هاهنا: قولان.

أحدهما: أنه العمل بالمعاصي، قاله مقاتل.

والثاني: الكفر ذكره الدمشقي.

{ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا سَلِّمُوا يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ** }

قوله تعالى: { **قُلْ يَا أَهْلَ * أَهْلِ الْكِتَابِ** } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: انهم اليهود قاله قتادة، وابن جريج، والربيع بن أنس.

والثاني: وفد نجران الذين حاجوا في عيسى، قاله السدي، ومقاتل.

والثالث: أهل الكتابين جميعا، قاله الحسن. وقال ابن عباس: نزلت في

القسيسين والرهبان، فبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم، إلى جعفر، و

أصحابه بالحبشة فقرأها جعفر والنجاشي جالس، وأشرف الحبشة فأما الكلمة

فقال المفسرون هي: لا إله إلا الله فان. قيل: فهذه كلمات فلم قال كلمة فعنه

جوابان. أحدهما: أن الكلمة تعبر عن ألفاظ. وكلمات قال اللغويون: ومعنى:

كلمة: كلام فيه شرح قصة، وإن طال تقول العرب: قال: زهير في كلمته: يراد

في قصيدته.

قالت الخنساء:

وقافيه مثل حد السنن تبقى ويذهب من قالها

تقد الذؤابة من يذبل أبت أن تزايل أوعالها

نطقت ابن عمرو فسهلتها ولم ينطق الناس أمثالها فأوقعت القافية على القصيدة كلها، والغالب على القافية أن تكون في آخر كلمة، من البيت، وإنما سميت قافية، لأن الكلمة تتبع البيت، وتقع آخره، فسميت قافية من قول العرب: قفوت فلانا: إذا اتبعته، وإلى هذا الجواب يذهب الزجاج وغيره. والثاني: أن المراد بالكلمة: كلمات، فاكتفى بالكلمة من كلمات، كما قال علقمة بن عبدة. بها جيف الحسرى فأما عظامها فيبيض وأما جلدها فصليب

أراد: وأما جلودها، فاكتفى بالواحد من الجمع، ذكره والذي قبله ابن الأنباري. قوله تعالى: {سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} قال الزجاج: يعني بالسواء العدل، وهو من استواء الشيء، ويقال للعدل سَوَاءٌ وَسِوَاءٌ وَسَوَاءٌ. قال زهير بن أبي سلمى: أروني خطة لاضيم فيها يسوي بيننا فيها السواء

فان تدعوا السواء فليس بيني وبينكم بني حصن بقاء

قال: وموضع «أن» في قوله تعالى {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} خفض على البدل من «كلمة» المعنى: تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله. وجائز أن يكون «أن» في موضع رفع، كأن قائلًا قال: ما الكلمة؟ فأجيب، فقيل: هي إلا نعبد إلا الله. قوله تعالى: {وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أن سجود بعضهم لبعض، قاله عكرمة. والثاني: لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله، قاله ابن جريج. والثالث: أن نجعل غير الله ربا، كما قالت النصارى في المسيح، قاله مقاتل، و

الزجاج. **{يَأْهَلْ يُكْتَبُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}**

قوله تعالى: {مُسْلِمُونَ يَأْهَلْ يُكْتَبُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ} قال ابن عباس، والحسن، والسدي: اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران، وأخبار اليهود، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصاريا. فنزلت هذه الآية.

{ هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }

قوله تعالى: { أَنْتُمْ } قرأ ابن كثير «هأنتم» مثل: هعنتم، فأبدل من همزة الاستفهام «الهاء» أراد: أنتم. وقرأ نافع و أبو عمرو «هأنتم» ممدودا، استفهام بلا همزة، وقرأ عاصم، وابن عامر، و حمزة، والكسائي، «ها أنتم» ممدودا، مهموزا، ولم يختلفوا في مد «هؤلاء» و «أولاء».

قوله تعالى: { فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ } فيه قولان. أحدهما: أنه ما راوا وعانوا، قاله قتادة. والثاني: ما أمروا به، ونهوا عنه، قاله السدي. فأما الذي ليس لهم به علم، فهو شأن إبراهيم عليه السلام. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان بين إبراهيم وموسى، خمسمائة وخمس وسبعون سنة. وبين موسى وعيسى ألف وستمائة واثنان وثلاثون سنة. وقال ابن إسحاق: كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة وخمس وستون سنة، وبين موسى وعيسى ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة. وقد سبق في { البقرة } معنى الحنيف.

{ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ تَبِعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ تَبِعُوهُ } في سبب نزولها قولان. أحدهما: أن رؤساء اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لقد علمت أنا أولى بدين إبراهيم منك، وأنه كان يهوديا، وما بك إلا الحسد، فنزلت هذه الآية ومعناها: أحق الناس بدين إبراهيم، الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم على دينه، قاله ابن عباس. والثاني: أن عمرو بن العاص أراد أن يغضب النجاشي على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال للنجاشي: إنهم ليشتمون عيسى. فقال النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى؟ فقالوا: يقول: إنه عبد الله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم. فأخذ النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين، فقال والله ما زاد على ما يقول صاحبكم ما يزن هذا القذى، ثم قال: أبشروا، فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم. قال عمرو بن العاص: ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم. فأنزل الله يوم خصومتهم على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية، هذا قول عبد الرحمن بن غنم.

{ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }

قوله تعالى: { وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ } سبب نزولها أن اليهود قالوا لمعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والطائفة: اسم لجماعة مجتمعين على ما اجتمعوا عليه من دين، ورأي، ومذهب، وغير ذلك. و في هذه الطائفة قولان.

أحدهما: انهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله أبو سليمان الدمشقي. والضلال: الحيرة. وفيه هاهنا قولان. أحدهما: أنه الاستنزال عن الحق إلى الباطل، وهو قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الإهلاك ومنه {صَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهْنًا} [السجدة: 10]. قاله ابن جرير، والدمشقي. وفي قوله: {وَمَا يَشْعُرُونَ} قولان. أحدهما: وما يشعرون أن الله يدل المؤمنين على حالهم، والثاني: وما يشعرون أنهم يضلون أنفسهم.

{يَاهْلَ لِكِتَابٍ لِمَ تَكْفُرُونَ يَا أَيَّتَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}

قوله تعالى: {لِمَ تَكْفُرُونَ يَا أَيَّتَ اللَّهِ} قال قتادة: يعني محمداً والإسلام {وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} أن بعث محمد في كتابكم، ثم تكفرون به.

{يَاهْلَ لِكِتَابٍ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

قوله تعالى: {لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} قال اليزيدي: معناه: لم تخلطون الحق بالباطل؟ قال ابن فارس: واللبس: اختلاط الأمر، وفي الأمر لبسة، أي: ليس بواضح. وفي الحق والباطل أربعة أقوال. أحدها: أن الحق: إقرارهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم، والباطل: كتمانهم بعض أمره. والثاني: الحق: إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم غدوة، والباطل: كفرهم به عشية، روي عن ابن عباس. والثالث: الحق: التوراة، والباطل: ما كتبه فيها بأيديهم، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: الحق: الإسلام، والباطل: اليهودية والنصرانية، قاله قتادة.

قوله تعالى: {وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ} قال قتادة: كتموا الإسلام، وكتموا محمداً صلى الله عليه وسلم.

{وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمِنُوا بِآ لَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَ أَكْفُوا ءَأَخْرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}

قوله تعالى: {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} في سبب نزولها قولان. أحدهما: أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار، فأمنوا، وإذا كان آخره، فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم اعلم منا، فينقلبون عن دينهم، رواه عطية عن ابن عباس. وقال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبرا من اليهود، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد باللسان أول النهار، واكفروا آخره، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمد ليس بذلك، فيشك أصحابه في دينهم، ويقولون: هم أهل الكتاب، وهم اعلم منا، فيرجعون إلى دينكم، فنزلت هذه الآية. وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. والثاني: أن الله تعالى صرف نبيه إلى الكعبة عند صلاة الظهر، فقال قوم من علماء اليهود: {ءَأَمِنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ} يقولون: آمنوا بالقبلة التي صلوا إليها الصبح، واكفروا بالتي صلوا إليها آخر

النهار، لعلهم يرجعون إلى قبلتكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال مجاهد، وقتادة، و الزجاج في آخرين: وجه النهار: أوله. وأنشد الزجاج:

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه قد قمن قبل تبلج الأسحار
 { وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ لَهْدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا
 أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ لِفَضْلِ يَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ
 عَلِيمٌ }

قوله تعالى: { وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ } اختلف العلماء في توجيه هذه الآية على أربعة أقوال.

أحدها: أن معناه: و لا تصدقوا إلا من تبع دينكم، و لا تصدقوا أن يؤتى أحد مما أوتيتم من العلم، و فلق البحر، و المن، و السلوى، و غير ذلك، و لا تصدقوا أن يجادلوكم عند ربكم، لأنكم أصح دينا منهم، فيكون هذا كله من كلام اليهود بينهم، و تكون اللام في «لمن» صلة، و يكون قوله تعالى: { قُلْ إِنْ لَهْدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ } كلاما معترضا بين كلامين، هذا معنى قول مجاهد، و الأخفش.

و الثاني: أن كلام اليهود تام عند قوله: { لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ } و الباقي من قول الله تعالى، لا يعترضه شيء من قولهم، و تقديره: قل يا محمد: إن الهدى هدى الله أن يؤتى احد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد، إلا أن تجادلكم اليهود بالباطل، فيقولون: نحن أفضل منكم، هذا معنى قول الحسن، و سعيد بن جبیر. قال الفراء: معنى: «أن يؤتى» أن لا يؤتى.

و الثالث: أن في الكلام تقديم و تأخيرا، تقديره: و لا تؤمنوا أن يؤتى احد مثل ما أوتيتم، إلا من تبع دينكم، فأخرت «أن» و هي مقدمة في النية على مذهب العرب في التقديم و التأخير، و دخلت اللام على جهة التوكيد، كقوله تعالى: { عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ } [النمل: 72] أي ردفكم. و قال الشاعر:

ما كنت أخدع للخليل بخلة حتى يكون لي الخليل خدوعا

أراد: ما كنت أخدع الخليل.

و قال الآخر:

يذمون الدنيا وهم يحلبونها أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

أراد: يذمون الدنيا، ذكره ابن الأنباري.

والرابع: أن اللام غير زائدة، والمعنى: لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيء مما جاء به إلا لليهود، فانكم إن قلتم ذلك للمشركين، كان عوناً لهم على تصديقه، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: لا تؤمنوا أن محمداً وأصحابه على حق، إلا لمن تبع دينكم، مخافة أن يطلع على عنادكم الحق، ويحاجوكم به عند ربكم. فعلى هذا يكون معنى الكلام: لا تقروا بأن يؤتى احد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم، وقد ذكر هذا المعنى مكي بن أبي طالب النحوي. وقرأ ابن كثير: أن يؤتى بهمزين، الأولى مخفة، والثانية: ملينة على الاستفهام، مثل: أنتم أعلم. قال أبو علي: ووجهها «أن» أن في موضع رفع بالابتداء، وخبره: يصدقون به، أو يعترفون به، أو يذكرونه لغيركم، ويجوز أن يكون موضع «أن» نصياً، فيكون المعنى: أتشيعون، أو أتذكرون أن يؤتى احد، ومثله في المعنى: {أُنْحَدُّوهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} [البقرة: 76] وقرأ الأعمش، وطلحة بن مصرف: إن يؤتى، بكسر الهمزة، على معنى: ما يؤتى. وفي قوله تعالى: {أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ} قولان. أحدهما: أن معناه: ولا تصدقوا انهم يحاجوكم عند ربكم، لأنهم لا حجة لهم، قاله قتادة. والثاني: أن معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم على طريق التعبد، كما يقال: لا يلقاه أو تقوم الساعة، قاله الكسائي.

قوله تعالى: {إِنَّ لِقَاصِلَ يَدِ اللَّهِ} قال ابن عباس: يعني النبوة، والكتاب، والهدى. {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ} لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود من أنه لا يؤتى احد مثل ما أوتيتم.

{يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}

قوله تعالى: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ} في الرحمة ثلاثة أقوال. أحدها: أنها الإسلام، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: النبوة، قاله مجاهد. والثالث: القرآن والإسلام، قاله ابن جريج.

{وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُ إِن تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنُ إِن تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

قوله تعالى: {وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُ إِن تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ} قال ابن عباس: أودع رجل ألفاً ومئتي أوقية من ذهب عبد الله بن سلام، فأداهما إليه، فمدحه الله بهذا الآية، وأودع رجل فنحاص بن عازوراء ديناراً، فخانه. وأهل الكتاب: اليهود. وقد سبق الكلام في القنطار. وقيل إن «الباء» في قوله: «بقنطار» بمعنى «على» فأما الدينار، فقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الدينار فارسي معرب، وأصله: دنار، وهو وإن كان معرباً، فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار، فقد صار كالعربي، ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه، لأنه خاطبهم بما عرفوا، واشتقوا منه فعلاً، فقالوا: رجل مدنر: كثير الدنانير. وبرذون مدنر: أشهب مستدير النقش ببيض وسواد. فان قيل: لم خص أهل الكتاب بأن فيهم

خائنا وأمينا والخلق على ذلك، فالجواب: انهم يخونون المسلمين استحلالات
لذلك، وقد بينه في قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} فحذر منهم.
وقال مقاتل: الأمانة ترجع إلى من أسلم منهم، والخيانة إلى من لم يسلم.
وقيل: إن الذين يؤدون الأمانة: النصارى، والذين لا يؤدونها: اليهود.
قوله تعالى: {إِلَّا * دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا} قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: دمت
ودمت، ومت و متم. وتميم يقولون: مت و دمت بالكسر، ويجتمعون في
«يفعل» يدوم ويموت. وفي هذا القيام قولان. أحدهما: أنه التقاضي، قاله
مجاهد، وقتادة، والفراء، و ابن قتيبة، و الزجاج. قال ابن قتيبة: والمعنى:
مادمت مواظبا بالاقتضاء له والمطالبة. وأصل هذا أن المطالب بالشيء يقوم
فيه، ويتصرف. والتارك له يقعد عنه.
[قال الأعشى:

يقوم على الرغم في قومه فيعفوا إذا شاء أو ينتقم

أي: يطالب بالذخل ولا يقعد عنه. قال تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً} [مَنْ أَهْلٍ
لِكِتَابِ أُمَّةٍ قَائِمَةٌ} [آل عمران: 113] أي: علامة غير تاركة، وقال تعالى:
{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد: 33] أي: أخذ لها بما
كسبت. والثاني: أنه القيام حقيقة، فتقديره: إلا ما دمت قائما على رأسه، فانه
يعترف بأمانته، فاذا ذهب، ثم جئت، جحدك، قاله السدي.
قوله تعالى: {ذَلِكَ} يعني: الخيانة. والسبيل: الإثم والحرج، ونظيره {مَا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ} [التوبة: 91] قال قتادة: إنما استحل اليهود أموال
المسلمين، لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب.
قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ لَكَذِبٌ} قال السدي: يقولون: قد أحل الله
لنا أموال العرب.

قوله تعالى: {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} قولان. أحدهما: يعلمون أن الله قد أنزل في
التوراة الوفاء، وأداء الأمانة. والثاني: يقولون الكذب، وهم يعلمون أنه كذب.

{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَرَقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}

قوله تعالى: {بَلَىٰ} رد الله عز وجل عليهم قولهم: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ
سَبِيلٌ} بقوله: {بَلَىٰ} قال الزجاج: وهو عندي وقف التمام، ثم استأنف،
فقال:

{مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ} ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله: {بَلَىٰ مَنْ
أَوْفَىٰ}. والعهد: ما عاهدكم الله عز وجل عليه في التوراة. وفي «هاء» {عَهْدُهُ
{ قولان. أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى الموفي.

**{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**

قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا } في سبب نزولها ثلاثة أقوال. أحدها: أن الأشعث بن قيس خاصم بعض اليهود في أرض، فجدده اليهودي، فقدمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال [له]: «ألك بينة؟» قال: لا. قال لليهودي: «أتحلف؟» فقال الأشعث: إذا يحلف فيذهب بمالي. فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري، ومسلم. والثاني: أنها نزلت في اليهود، عهد الله إليهم في التوراة تبين صفة النبي صلى الله عليه وسلم، فجددوا، وخالفوا لما كانوا ينالون من سفلتهم من الدنيا، هذا قول عكرمة، ومقاتل. والثالث: أن رجلاً أقام سلعته في السوق أول النهار، فلما كان آخره، جاء رجل، يساومه، فحلف: لقد منعها أول النهار من كذا، ولولا المساء لما باعها به، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشعبي، ومجاهد. فعلى القول الأول، والثالث، العهد: لزوم الطاعة، وترك المعصية، وعلى الثاني: ما عهده إلى اليهود في التوراة. واليمين: الحلف. وإن قلنا: إنها في اليهود، والكفار، فإن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً. وإن قلنا: إنها في العصاة، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا يكلمهم الله كلام خير. ومعنى: { وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ }، أي: لا يعطف عليهم بخير مقائلهم، قال الزجاج: تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، ولا يكلمه، معناه: أنه غضبان عليه.

قوله تعالى: { وَلَا يُزَكِّيهِمْ } أي: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم. { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }

قوله تعالى: { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا } اختلفوا فيمن نزلت على قولين. أحدهما: أنها نزلت في اليهود، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: في اليهود والنصارى، رواه الضحاك، عن ابن عباس.

قوله تعالى: { وَأَنَّ } هي كلمة مؤكدة، واللام في قوله: «لفريقاً» بتوكيد زائد على توكيد «إن» قال ابن قتيبة: ومعنى { يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم } : يقلبونها بالتحريف والزيادة والألسنة: جمع لسان، قال أبو عمرو: واللسان يذكر ويؤنث، فمن ذكره جمعه: ألسنه، ومن أنثه، جمعه: ألسنا. وقال الفراء: اللسان بعينه لم نسمعه من العرب إلا مذكراً. وتقول العرب: سبق من فلان لسان، يعنون به الكلام، فيذكرونه.

وأنشد ابن الأعرابي:

لسانك معسول ونفسك شحة وعند الثريا من صديقك مالكا

وأنشد ثعلب:

ندمت على لسان كان مني فليت بأنه في جوف عكم

والعكم: العدل. ودل بقوله: كان مني، على أن اللسان الكلام.
وأنشد ثعلب:
أتنتي لسان بني عامر أحاديثها بعد قول نكر

فأنث اللسان لأنه عنى الكلمة والرسالة.
مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ {

قوله تعالى: { مَا كَانَ لِبَشَرٍ } في سبب نزولها ثلاثة أقوال. أحدها: أن قوما من رؤساء اليهود والنصارى، قالوا: يا محمد أتريد أن نتخذك رباً؟ فقال: معاذ الله، ما بذلك بعثني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا نسجد لك؟ قال: «لا، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله» فنزلت هذه الآية، قاله الحسن البصري. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران حيث عبدوا عيسى. قاله الضحاك، ومقاتل. وفيمن عنى بـ «البشر» قولان. أحدهما: محمد صلى الله عليه وسلم. والكتاب: القرآن، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: عيسى، والكتاب: الإنجيل، قاله الضحاك، ومقاتل. والحكم: الفقه والعلم، قاله قتادة في آخرين. قال الزجاج: ومعنى الآية: لا يجتمع لرجل نبوة، والقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، لأن الله لا يصطفي الكذبة.

قوله تعالى: { وَلَكِنْ كُونُوا } أي: ولكن يقول لهم: كونوا، فحذف القول لدلالة الكلام عليه.

فأما الربانيون، فروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: هم الذين يعذون الناس بالحكمة، ويربونهم عليها. وقال ابن عباس، وابن جبير: هم الفقهاء المعلمون. وقال قتادة، وعطاء: هم الفقهاء العلماء الحكماء. قاله ابن قتيبة: واحداهم رباني، وهم العلماء المعلمون. وقال أبو عبيد: أحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانية، أو سريانية، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين. قال أبو عبيد: وإنما عرفها الفقهاء، وأهل العلم، قال: وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول: هم العلماء بالحلال والحرام، والأمر والنهي. وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين: الرباني: منسوب إلى الرب، لأن العلم: مما يطاع الله به، فدخلت الألف والنون في النسبة للمبالغة، كما قالوا: رجل لحياني: إذا بالغوا في وصفه بكبر اللحية.

قوله تعالى: { بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ } قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو: تعلمون، باسكان العين، ونصب اللام. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة،

والكسائي: تعلمون مثقلا، وكلهم قرؤوا: «تدرسون» خفيفة. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابو رزين، وسعيد بن جبير، وطلحة بن مصرف، وأبو حيوة: تدرسون، بضم التاء مع التشديد. والدراسة: القراءة. قال الزجاج: ومعنى الكلام: ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هدي العلماء والحكماء، لأن العالم إنما يستحق هذا الاسم إذا عمل بعلمه.

{ وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِمَلَائِكَةٍ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرْكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

قوله تعالى: { وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ } قرأ ابن عامر، وحمزة، وخلف، ويعقوب، وعاصم في بعض الروايات عنه، وعبد الوارث، عن أبي عمرو، واليزيدي في اختياره، ينصب الراء. وقرأ الباقون برفع الراء، فمن نصب كان المعنى: وما كان لبشر أن يأمركم، ومن رفع قطعه مما قبله. قال ابن جريج: ولا يأمركم محمد.

{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ }

قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ } قال الزجاج: موضع «إذ» نصب، المعنى: واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله. قال ابن عباس: والميثاق: العهد. وفي الذي أخذ ميثاقهم عليه قولان. أحدهما: أنه تصديق محمد صلى الله عليه وسلم، روي عن علي، وابن عباس، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه أخذ ميثاق الأول من الأنبياء ليؤمنن بما جاء به الآخر منهم، قاله طاووس. قال مجاهد، والربيع بن أنس: هذه الآية خطأ من الكتاب، وهي في قراءة ابن مسعود: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ لِدِينٍ أَوْثُوا لِكِتَابٍ } واحتج الربيع بقوله تعالى: { ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ } وقال بعض أهل العلم: إنما أخذ الميثاق على النبيين، وأمهم، فاكتفى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع، وهذا معنى قول ابن عباس، والزجاج.

واختلف العلماء في لام «لما» فقرأ الاكثرون «لما» بفتح اللام والتخفيف، وقرأ حمزة مثلها، إلا أنه كسر اللام، وقرأ سعيد بن جبير «لما» مشددة الميم، فقراءة ابن جبير، معناها: حين آتيتكم. وقال الفراء في قراءة حمزة: يريد أخذ الميثاق للذي آتاهم، ثم جعل قوله: { لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ } من الأخذ. قال الفراء: ومن نصب اللام جعلها زائدة. و«ما» هاهنا بمعنى الشرط والجزاء، فالمعنى: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم شيئا من كتاب وحكمة. قال ابن الأنباري: اللام في قوله تعالى: { لَمَا آتَيْنَكُمْ } على قراءة من شدد أو كسر: جواب لأخذ الميثاق، قال: لأن أخذ الميثاق يمين، وعلى قراءة من خففها، معناها: القسم، وجواب القسم اللام في قوله: { لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ }. وإنما خاطب، فقال: آتيتكم. بعد أن ذكر النبيين

وهم غيب، لأن في الكلام معنى قول وحكاية، فقال مخاطبا لهم: لما آتيتكم وقرأ نافع «آتيناكم» بالنون والألف.

قوله تعالى: {ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ} قال علي رضي الله عنه: ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد، إن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه. وقال غيره: أخذ ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضا. والإصر هاهنا: العهد في قول الجماعة. قال ابن قتيبة: أصل الإصر: الثقل، فسمي العهد إصرًا، لأنه منع من الأمر الذي أخذ له، وثقل وتشديد. وكلهم كسر ألف «إصري». وروى أبو بكر، عن عصام ضمة. قال أبو علي: يشبه أن يكون الضم لغة.

قوله تعالى: {قَالَ وَشَاهِدُوا} قال ابن فارس: الشهادة: الإخبار بما شوهد. وفيمن خوطب بهذا قولان. أحدهما: أنه خطاب للنبيين، ثم فيه قولان. أحدهما: أنه معناه: فاشهدوا على أممكم، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: فاشهدوا على أنفسكم، قاله مقاتل. والثاني: أنه خطاب للملائكة، قاله سعيد بن

المسيب فعلى هذا يكون كناية عن غير مذكور.

{فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}

قوله تعالى: {أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ} قرأ أبو عمرو: «يبغون» بالياء مفتوحة. {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} بالتاء مضمومة، وقرأها الباقون بالياء في الحرفين. وروى حفص عن عاصم: «يبغون» و «يرجعون» بالياء فيهما، وفتح الياء وكسر الجيم يعقوب على أصله. قال ابن عباس: اختصم أهل الكتابين، فزعمت كل فرقة أنها أولى بدين إبراهيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم» فغضبوا، وقالوا: والله لا نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزلت هذه الآية. والمراد بدين الله، دين محمد صلى الله عليه وسلم. {وَلَهُ أَسْلَمَ} انقاد، وخضع {طَوْعًا وَكَرْهًا} الطوع: الانقياد بسهولة، والكره: الانقياد بمشقة وإباء من النفس. وفي معنى الطوع والكره ستة أقوال. أحدها: أن إسلام الكل كان يوم الميثاق طوعا وكرها، رواه مجاهد عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد، وبه قال السدي. والثاني: أن المؤمن يسجد طائعا، والكافر يسجد ظله وهو كاره، روي عن ابن عباس، ورواه ابن أبي نجيح، وليث عن مجاهد. والثالث: أن الكل أقروا له بأنه الخالق، وإن أشرك بعضهم، فإقراره بذلك حجة عليه في إشراكه، هذا قول أبو العالية، ورواه منصور عن مجاهد. والرابع: أن المؤمن أسلم طائعا، والكافر أسلم مخافة السيف، هذا قول الحسن. والخامس: أن المؤمن أسلم طائعا، والكافر أسلم حين رأى بأس الله، فلم ينفعه في ذلك الوقت، هذا قول قتادة. والسادس: أن إسلام الكل خضوعهم لنفاذ أمره في جبلتهم، لا يقدر أحد أن يمتنع من جبلة جبله عليها، ولا على تغييرها، هذا قول الزجاج، وهو معنى قول الشعبي: انقاد كلهم له.

{ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ
وَبَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيِّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَجَنَّبْ لَهُمُ الَّذِينَ * وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ
أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }

قوله تعالى: { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ } في سبب نزولها ثلاثة أقوال.

أحدها: أن رجلاً من الانصار ارتد فلقق بالمشركين فنزلت هذه الآية إلى قوله تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا } فكتب بها قومه إليه فرجع تائباً فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه، وخلي عنه رواه عكرمة ابن عباس. وذكر مجاهد، والسدي أن اسم ذلك الرجل: الحارث بن سويد.

والثاني: أنها نزلت في عشرة رهط ارتدوا، فيهم الحارث بن سويد، فندم، فرجع. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثالث: أنها في أهل الكتاب، عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كفروا به. رواه عطية عن ابن عباس. وقال الحسن: هم اليهود والنصارى. وقيل: إن «كيف» هاهنا لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها الجحد، أي: لا يهدي الله هؤلاء.

{ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ لِعَذَابٍ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }

قوله تعالى: { خَالِدِينَ فِيهَا } قال الزجاج أي: في عذاب اللعنة { وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ } أي: يؤخرون عن الوقت. قال: ومعنى: { وَأَصْلَحُوا } أي: اظهروا انهم كانوا على ضلال، وأصلحوا ما كانوا أفسدوه، وغروا به من تبعهم ممن لا علم له. فصل

وهذه الآية استثنت من تاب ممن لم يتب وقد زعم قوم أنها نسخت ما تضمنته الآيات قبلها من الوعيد وليس بنسخ.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ زَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الضَّالُّونَ }

قوله تعالى: { رَّحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ } اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها نزلت فيمن لم يتب من أصحاب الحارث بن سويد، فانهم قالوا: نقيم بمكة ونتربص بمحمد ريب المنون، قاله ابن عباس، و مقاتل.

والثاني: أنها نزلت في اليهود كفروا بعيسى والانجيل، ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن، قاله الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني.

والثالث: أنها نزلت في اليهود والنصارى، كفروا بمحمد بعد إيمانهم بصفته، ثم ازدادوا كفرا باقامتهم على كفرهم، قاله أبو العالية. قال الحسن: كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفرا. وفي علة امتناع قبول توبتهم أربعة أقوال.

أحدها: انهم ارتدوا، وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم، والكفر في ضمائرهم، قاله ابن عباس.

والثاني: انهم قوم تابوا من الذنوب في الشرك، ولم يتوبوا من الشرك، قاله أبو العالية.

والثالث: أن: معناه: لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت، وهو قول الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي.

والرابع: لن تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر قاله مجاهد.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ إِلَّا رِضٌ ذَهَبًا وَلَوْ فُتِدَىٰ بِهِ أَوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ }

قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ } روى أبو صالح عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد. حيا في الإسلام، فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم كافرا. قال الزجاج: وملء الشيء: مقدار ما يملؤه. قال سيبويه، والخليل: والملء بفتح الميم: الفعل، تقول: ملأت الشيء أملؤه ملاء، المصدر بالفتح لا غير. والملاءة: التي تلبس ممدودة. والملاوة من الدهر: القطعة الطويلة منه، يقولون: ابل جديدا، وتمل حبيبا، أي: عش معه دهرا طويلا. و { ذَهَبًا } منصوب على التمييز. وقال ابن فارس: ربما أنث الذهب، ف قيل: ذهبة، ويجمع على الأذهاب.

قوله تعالى: { وَلَوْ فُتِدَىٰ بِهِ } قال الفراء: الواو ها هنا قد يستغنى عنها، ولو حذف كان صوابا، كقوله تعالى:

{ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } [الأنعام: 75] قال الزجاج: هذا غلط، لأن فائدة الواو بينة، فليست مما يلقي.

{ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }

قوله تعالى: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ } في البر أربعة أقوال.

أحدها: أنه الجنة، قاله ابن عباس، و مجاهد، والسدي في آخرين. قال ابن جرير: فيكون المعنى: لن تنالوا بر الله بكم الذي تطلبونه بطاعتكم.

والثاني: التقوى، قاله عطاء، و مقاتل.

والثالث: الطاعة، قاله عطية.

والرابع: الخير الذي يستحق به الأجر، قاله ابو روق. قال القاضي أبو يعلى: لم يرد نفي الأصل، وإنما نفي وجود الكمال، فكأنه قال: لن تنالوا البر الكامل.

قوله تعالى: { حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } فيه قولان. أحدهما: أنه نفقة العبد من ماله، وهو صحيح شحيح، رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والثاني: أنه الانفاق من محبوب المال، قاله قتادة، والضحاك. وفي المراد بهذه النفقة ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها الصدقة المفروضة، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك.

والثاني: أنها جميع الصدقات، قاله ابن عمر.

والثالث: أنها جميع النفقات التي يتبغى بها وجه الله تعالى: سواء كانت صدقة، أو لم تكن، نقل عن الحسن، واختاره القاضي أبو يعلى، وروى البخاري، ومسلم في «الصحیحين» من حديث أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قام أبو طلحة، فقال: يا رسول الله إن الله يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وإن أحب أموالي الي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها حيث أراك الله، فقال صلى الله عليه وسلم: «بخ بخ ذاك مال رايح أو رائح [شك الرواي] وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه. وروي عن عبد الله بن عمر أنه قرأ هذه الآية فقال: لا أجد شيئاً أحب إلى من جاريتي رميته، فهي حرة لوجه الله، ثم قال: لولا أنني أعود في شيء جعلته لله، لنكحتها، فأنكحها نافعاً، فهي أم ولده. وسئل أبو ذر: أي الأعمال أفضل:

فقال: الصلاة: عماد الإسلام، والجهاد: سنام العمل، والصدقة: شيء عجب. ثم قال السائل: يا أبا ذر لقد تركت شيئاً هو أوثق عمل في نفسي لا أراك ذكرته. قال: ما هو؟ قال الصيام. فقال قربة وليس هناك، وتلا قوله تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قال الزجاج: ومعنى قوله تعالى {فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} أي: يجازي عليه.

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ قَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَوَلَّوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

قوله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لَبْنِي إِسْرَائِيلَ} سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا على ملة إبراهيم» فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل؟ وتشرب ألبانها؟ فقال: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم». فقالوا كل شيء نحرمة نحن، فانه كان محرماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا. فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم. قاله أبو روق، وابن السائب و«الطعام» اسم للمأكول. قال ابن قتيبة: والحل: الحلال، ومثله الحرم والحرام، واللبس واللباس. وفي الذي حرمه على نفسه، ثلاثة أقوال. أحدها: لحوم الإبل وألبانها. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء ابن أبي رباح، وأبي العالية في آخرين. والثاني: أنه العروق، رواه سعيد بن جبیر عن

ابن عباس وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. والثالث: أنه زائدتا الكبد، والكليتان، والشحم إلا ما على الظهر، قاله عكرمة. وفي سبب تحريمه لذلك أربعة أقوال. أحدها: أنه طال به مرض شديد، فنذر: لئن شفاه الله، ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: أنه اشتكى عرق النسا فحرم العروق، قاله ابن عباس في آخرين. والثالث: أن الأطباء وصفوا له حين أصابه النسا اجتناب ما حرمه، فحرمه، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أنه كان إذا أكل ذلك الطعام، أصابه عرق النسا، فبييت وقيذا فحرمه، قاله أبو سليمان الدمشقي. واختلفوا: هل حرم ذلك باذن الله، أو باجتهاده؟ على قولين. واختلفوا: بماذا ثبت تحريم الطعام الذي حرمه على اليهود، على ثلاثة أقوال. أحدها: أنه حرم عليهم بتحريمه، ولم يكن محرما في التوراة، قاله عطية. وقال ابن عباس: قال يعقوب: لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد. والثاني: انهم وافقوا أباهم يعقوب في تحريمه، لا أنه حرم عليهم بالشرع، ثم أضافوا تحريمه إلى الله، فأكذبهم الله بقوله: { قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } هذا قول الضحاك. والثالث: أن الله حرمه عليهم بعد التوراة لا فيها.

وكانوا إذا أصابوا ذنبا عظيما، حرم عليهم به طعام طيب، أو صب عليهم عذاب، هذا قول ابن السائب. قال ابن عباس: { فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا } هل تجدون فيها تحريم لحوم الإبل وألبانها.

{ فَمَنْ فُتِّرَى عَلَى اللَّهِ لِكَذِبٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }

قوله تعالى: { فَمَنْ فُتِّرَى } يقول: اختلق { عَلَى اللَّهِ لِكَذِبٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ } أي: من بعد البيان في كتبهم، وقيل: من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم إياها.

{ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

قوله تعالى: { قُلْ صَدَقَ اللَّهُ } الصدق: الإخبار بالشيء على ما هو به، وضده الكذب. واختلفوا أي خبر عنى بهذه الآية؟ على قولين. أحدهما: أنه عنى قوله تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً } قاله مقاتل، وأبو سليمان الدمشقي. والثاني: أنه عنى قوله تعالى: { كَلَّ الطَّعَامِ كَانَ جِلا } قاله ابن السائب.

{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ }

قوله تعالى: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ } قال مجاهد: افتخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة. وقال المسلمون:

الكعبة أفضل، فنزلت هذه الآية وفي معنى كونه «أول» قولان. أحدهما: أنه أول بيت كان في الأرض، واختلف أرباب هذا القول، كيف كان أول بيت على ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه ظهر على وجه الماء حين خلق الله الارض، فخلقه قبلها بألفي عام، ودحاها من تحته، فروى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: كانت الكعبة حشفة

على وجه الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة. وقال: ابن عباس: وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة. ثم دحيت الأرض من تحت البيت، وبهذا القول يقول ابن عمر، وابن عمرو، وقتادة، ومجاهد، والسدي في آخرين.

والثاني: أن آدم استوحش حين أهبط، فأوحى الله إليه، أن: ابن لي بيتا في الأرض، فاصنع حوله نحو ما رايت ملائكتي تصنع حول عرشي، فبناه، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنه أهبط مع آدم، فلما كان الطوفان، رفع فصار معمورا في السماء وبنى إبراهيم على أثره، رواه شيبان عن قتادة. القول الثاني: أنه أول بيت وضع للناس للعبادة، وقد كانت قبله بيوت، هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن، وعطاء بن السائب في آخرين. فأما بكة، فقال الزجاج: يصلح هذا الاسم أن يكون مشتقا من البك. يقال بك الناس بعضهم بعضا، أي: دفع. واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال.

أحدها: لآزدحام الناس بها، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والفراء، ومقاتل.

والثاني: لأنها تبتك أعناق الجبابرة أي: تدقها، فلم يقصدها جبار إلا قصمه الله، روي عن عبد الله ابن الزبير، وذكره الزجاج.

والثالث: لأنها تضع من نخوة المتجبرين، يقال: بككت الرجل، أي وضعت منه، ورددت نخوته، قاله أبو عبد الرحمن اليزيدي، وقطرب. واتفقوا على أن مكة اسم لجميع البلدة. واختلفوا في بكة على أربعة أقوال.

أحدها: أنه اسم للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو مالك، وإبراهيم، وعطية.

والثاني: أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عكرمة.

والثالث: أنها المسجد، والبيت. ومكة: اسم للحرم كله، قاله الزهري، وضمرة بن حبيب.

والرابع: أن بكة هي مكة، قاله الضحاك، وابن قتيبة، واحتج ابن قتيبة بأن الباء تبدل من الميم؛ يقال: سمد رأسه، وسبد رأسه: إذا استأصله. وشر لازم، ولازب.

قوله تعالى: {مُبَارَكًا} قال الزجاج: هو منصوب على الحال. المعنى: الذي استقر بمكة في حال بركته.

قوله تعالى: {وَهَدَىٰ} أي: وذا هدى. ويجوز أن يكون «هدى» في موضع رفع، المعنى: وهو هدى، فأما بركته، ففيه تغفر الذنوب، وتضاعف الحسنات، ويأمن من دخله.

وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من طاف بالبيت، لم يرفع قدما، ولم يضع أخرى، إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة»

قوله تعالى: { وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ }، في الهدى هاهنا أربعة أقوال. أحدها: أنه بمعنى القبلة، فتقديره: وقبله العالمين. والثاني: أنه بمعنى: الرحمة. والثالث: أنه بمعنى: الصلاح، لأن من قصده، صلحت حاله عند ربه. والرابع: أنه بمعنى: البيان، والدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره. حيث يجتمع الكلب والظبي في الحرم، فلا الكلب يهيج الظبي، ولا الظبي يستوحش منه، قاله القاضي أبو يعلى.

{ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ }
لَبَّيْتِ مَنْ سَتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ {

قوله تعالى: { فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ }، الجمهور يقرؤون: آيات. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قرأ: { فِيهِ بَيِّنَاتٌ لِّقَوْمٍ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ }، وبها قرأ مجاهد. والآية: مقام إبراهيم. فأما من قرأ: «آيات» فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الآيات: مقام إبراهيم، وأمن من دخله. فعلى هذا يكون الجمع معبرا عن التثنية، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: { وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } [الأنبياء: 78]. وقال أبو رجاء: كان الحسن يعدهن، وأنا أنظر إلى أصابعه: مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت. وقال ابن جرير: في الكلام إضمار، تقديره: منهن مقام إبراهيم. قال المفسرون: الآيات فيه كثيرة، منها مقام إبراهيم، ومنها: أمن من دخله، ومنها: امتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض منها به، وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا إخرابه، إلى غير ذلك. قال القاضي أبو يعلى: والمراد بالبيت هاهنا: الحرم كله، لأن هذه الآيات موجودة فيه، ومقام إبراهيم ليس في البيت، والآية في مقام إبراهيم أنه قام على حجر، فأثرت قدماه فيه، فكان ذلك دليلا على قدرة الله، وصدق إبراهيم.

قوله تعالى: { وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا } قال القاضي أبو يعلى: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، وتقديره: ومن دخله، فأمنوه، وهو عام فيمن جنى جناية قبل دخوله، وفيمن جنى فيه بعد دخوله، إلا أن الإجماع انقعد على أن من جنى فيه لا يؤمن، لأنه هتك حرمة الحرم ورد الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجا منه، ثم لجأ إلى الحرم. وقد اختلف الفقهاء في ذلك، فقال أحمد في رواية المروزي: إذا قتل، أو قطع يدا، أو أتى حدا في غير الحرم، ثم دخله، لم يقم عليه الحد، ولم يقتص منه، ولكن لا يبايع، ولا يشارى، ولا يؤاكل حتى يخرج، فإن فعل شيئا من ذلك في الحرم، استوفي منه. وقال أحمد في رواية حنبل: إذا قتل خارج الحرم،

ثم دخله، لم يقتل. وإن كانت الجناية دون النفس، فإنه يقام عليه الحد، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه.

وقال مالك والشافعي: يقام عليه جميع ذلك في النفس، وفيما دون النفس. وفي قوله تعالى: { وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا }، دليل على أنه لا يقام عليه شيء من ذلك، وهو مذهب ابن عمر، و ابن عباس، وعطاء، والشعبي، وسعيد بن جبير، وطاووس.

قوله تعالى: { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ بُيُوتِ }، الاكثرون على فتح حاء «الحج»، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بكسرهما. قال مجاهد: لما أنزل قوله تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } [آل عمران: 85] قال أهل الملل كلهم: نحن مسلمون، فنزلت هذه الآية، فحججه المسلمون، وتركه المشركون، وقالت اليهود: لا نحجه أبداً.

قوله تعالى: { مَنْ سَلَّطَ عَلَيْهِ سَبِيلًا } قال النحويون: من استطاع بدل من «الناس» وهذا بدل البعض من الكل، كما تقول: ضربت زيدا رأسه. وقد روي عن ابن مسعود، وابن عمر، وأنس، وعائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل: ما السبيل؟ فقال: «من وجد الزاد والراحلة»
قوله تعالى: { وَمَنْ كَفَرَ }، فيه خمسة أقوال.

أحدها: أن معناه: من كفر بالحج فاعتقده غير واجب، رواه مقسم عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، و مقاتل.

والثاني: من لم يرج ثواب حجه، ولم يخف عقاب تركه، فقد كفر به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثالث: أنه الكفر بالله، لا بالحج، وهذا المعنى مروى عن عكرمة، و مجاهد. والرابع: أنه إذا أمكنه الحج، حتى مات، وسم بين عينيه: كافر، هذا قول ابن عمر.

والخامس: أنه أراد الكفر بالآيات التي انزلت في ذكر البيت، لأن قوما من المشركين قالوا: نحن نكفر بهذه الآيات، هذا قول ابن زيد.

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُوتَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ غَمًّا تَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ * أَهْلِ الْكِتَابِ }. قال الحسن: هم اليهود والنصارى، فأما آيات الله. فقال ابن عباس: هي القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم. وأما الشهيد، فقال ابن قتيبة: هو بمعنى الشاهد، وقال الخطابي: هو الذي لا يغيب عنه شيء، كأنه الحاضر الشاهد.

قوله تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنِ ءَامَنَ } . قال مقاتل: دعت اليهود حذيفة، وعمار بن ياسر، إلى دينهم، فنزلت هذه الآية. وفي المراد بأهل الكتاب هاهنا قولان. أحدهما: انهم اليهود والنصارى، قاله الحسن. والثاني: اليهود. قاله زيد بن أسلم، ومقاتل. قال ابن عباس: لم تصدون عن سبيل الله: الإسلام، والحج. وقال قتادة: لم تصدون عن نبي الله، وعن الإسلام. قال السدي: كانوا إذا سئلوا: هل تجدون محمدا في كتبكم؟ قالوا: لا. فصدوا عنه الناس.

قوله تعالى: { تَبَّغَوْهَا }، قال اللغويون: الهاء كناية عن السبيل، والسبيل يذكر ويؤنث. وأنشدوا:

فلا تبعد فكل فتى أناس سيصبح سالكا تلك السبيلا

ومعنى «تبغونها» تبغون لها، تقول العرب: ابغني خادما، يريدون: ابتغ لي: فاذا أرادوا: ابتغ، معي واعني على طلبه، قالوا: ابغني، ففتحوا الألف، ويقولون: وهبتك درهمًا، كما يقولون: وهبت لك. قال الشاعر:

فتولي غلامهم ثم نادى أظليما أصيدكم أم حمارا؟.

أراد: أصيد لكم: ومعنى الآية: يلتمسون لسبيل الله الزبغ والتحريف، ويريدون رد الإيمان والاستقامة إلى الكفر والاعوجاج، ويطلبون العدول عن القصد، هذا قول الفراء، والزجاج، واللغويين. قال ابن جرير: خرج هذا الكلام على السبيل، والمعنى: لأهله، كأن المعنى: تبغون لأهل دين الله، ولمن هو على سبيل الحق عوجا. أي: ضللا. قال أبو عبيدة: العوج بكسر العين، في الدين، والكلام، والعمل، والعوج بفتحها، في الحائط والجذع. وقال الزجاج: العوج بكسر العين: فيما لا ترى له شخصا، وما كان له شخص قلت: عوج بفتحها، تقول: في أمره ودينه عوج، وفي العصا عوج. وروى ابن الأنباري عن ثعلب قال: العوج عند العرب بكسر العين: في كل ما لا يحاط به، والعوج بفتح العين في كل ما لا يحصل، فيقال: في الأرض عوج، وفي الدين عوج، لأن هذين يتسعان، ولا يدركان. وفي العصا عوج، وفي السن عوج، لأنهما يحاط بهما ويبلغ كنههما. وقال ابن فارس: العوج بفتح العين: في كل منتصب، كالحائط. والعوج: ما كان في بساط أو أرض، أو دين، أو معاش.

قوله تعالى: { وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ } فيه قولان. أحدهما: أن معناه، وانتم شاهدون بصحة ما صدقتم عنه، وبطلان ما أنتم فيه، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، وقاتلة، والاكثريين. والثاني: أن معنى الشهداء هاهنا: العقلاء، ذكره القاضي أبو يعلى في آخرين.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ }

سبب نزولها أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أطفأ تلك الحرب بالإسلام، فبينما رجلان أوسي وخزرجي يتحدثان، ومعهما يهودي، جعل اليهودي يذكرهما أيامهما، والعداوة التي كانت بينهما حتى اقتتلا، فنادى كل واحد منهما بقومه، فخرجوا بالسلاح، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فأصلح بينهم: فنزلت هذه الآية. قاله مجاهد، وعكرمة، والجماعة. قال المفسرون: والخطاب بهذه الآية للأوس والخزرج. قال زيد بن أسلم: وعنى بذلك الفريق: شاس بن قيس اليهودي وأصحابه، قال الزجاج: ومعنى طاعتهم: تقليدهم.

{ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }
قوله تعالى: { وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ }

قال ابن قتيبة: أي: يمتنع، وأصل العصمة: المنع، قال الزجاج: ويعتصم جزم بـ «من» والجواب { فَقَدْ هُدِيَ }.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }
قال عكرمة: نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا، وأصلح النبي صلى الله عليه وسلم بينهم. وفي «حق تقاته» ثلاثة أقوال. أحدها: أن يطاع الله فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم. وهو قول ابن مسعود، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أن يجاهد في الله حق الجهاد، وأن لا يأخذ العبد فيه لومة لائم، وأن يقوموا له بالقسط، ولو على أنفسهم، وأبائهم، وأبنائهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناه: اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قاله الزجاج.

فصل

واختلف العلماء: هل هذا الكلام محكم أو منسوخ؟ على قولين. أحدهما: أنه منسوخ، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبیر، وقتادة، وابن زيد، والسدي، ومقاتل. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شقت على المسلمين، فنسخها قوله تعالى: **{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا سَبَّطَعْتُمْ }**، [التغابن: 16]. والثاني: أنها محكمة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول طاووس. قال شيخنا علي بن عبد الله: والاختلاف في نسخها وإحكامها، يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها، فالمعتقد نسخها يرى أن «حق تقاته» الوقوف على جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله من الواحد ممتنع، والمعتقد إحكامها يرى أن «حق تقاته» أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: «ما استطعتم» مفسرا لـ «حق تقاته» لا ناسخا ولا مخصصا.

{ وَ عُتِّصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَ لُكِّرُوا نِعْمَةً اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }

قوله تعالى: { وَ عُتِّصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً } قال الزجاج: اعتصموا:
استمسكوا. فاما الحبل، ففيه ستة أقوال.

أحدها: أنه كتاب الله: القرآن: رواه شقيق عن ابن مسعود وبه قال قتادة، و
الضحاك، والسدي.

والثاني: أنه الجماعة، رواه الشعبي عن ابن مسعود.

والثالث: أنه دين الله، قاله ابن عباس، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتيبة. وقال
ابن زيد: هو الإسلام.

والرابع: عهد الله، قاله مجاهد، وعطاء، وقتادة. في رواية، وأبو عبيد، واحتج له
الزجاج بقول الأعشى:

وإذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالها

وأنشد ابن الأنباري:

فلو حبالا تناول من سليمان لمد بحبلها حبالا متينا [/شع]

والخامس: أنه الإخلاص، قاله أبو العالية، والسادس: أنه أمر الله وطاعته، قاله

مقاتل بن حيان. قال الزجاج: وقوله: «جميعا» منصوب على الحال، أي: كونوا

مجتمعين على الاعتصام به. وأصل «تفرقوا» تتفرقوا، إلا أن التاء حذفت

لاجتماع حرفين من جنس واحد، والمحذوفة هي الثانية، لأن الأولى دليلة على

الاستقبال، فلا يجوز حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال، وهو مجزوم

بالنهي، والأصل: ولا تتفرقون، فحذفت النون، لتدل على الجزم.

قوله تعالى: { وَ لُكِّرُوا نِعْمَةً اللَّهِ عَلَيْكُمْ } اختلفوا فيمن أريد بهذا الكلام على

قولين. أحدهما: انهم مشركو العرب، كان القوي يستبيح الضعيف، قاله الحسن،

وقتادة. والثاني: الأوس والخزرج، كان بينهم حرب شديد، قاله ابن إسحاق.

والأعداء: جمع عدو. قال ابن فارس: وهو من عدا: إذا ظلم.

قوله تعالى: { فَأَصْبَحْتُمْ } أي: صرتم، قال الزجاج: وأصل الأخ في اللغة أنه

الذي مقصده مقصد أخيه، والعرب تقول: فلان يتوخى مسار فلان، أي: ما

يسره.

والشفا: الحرف. واعلم أن هذا مثل ضربه الله لإشرافهم على الهلاك. وقربهم

من العذاب، كأنه قال: كنتم على حرف حفرة من النار، ليس بينكم وبين الوقوع

فيها إلا الموت على الكفر. قال السدي: فأنقذكم منها محمد صلى الله عليه

وسلم.

{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

قوله تعالى: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ}** قال الزجاج: معنى الكلام: ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير، وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» هاهنا تدخل لتحض المخاطبين من سائر الأجناس، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين، ومثله: **{وَجَنِّبُوا اللَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}** [الحج: 20] معناه: اجتنبوا الأوثان، فانها رجس. ومثله قول الشاعر:
أخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامه منه النوفل الزفر

وهو النوفل الزفر. لأنه وصفه باعطاء الرغائب. والنوفل: الكثير الإعطاء للنوافل، والزفر: الذي يحمل الأثقال. ويدل على أن الكل أمروا بالمعروف والنهي عن المنكر. قوله تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}** قال: ويجوز أن يكون أمر منهم فرقة، لأن الأدعاء ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه، وليس الخلق كلهم علماء، والعلم ينوب بعض الناس فيه عن بعض، كالجهد. فأما الخير، ففيه قولان. أحدهما: أنه الإسلام، قاله مقاتل.

والثاني: العمل بطاعة الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. واما المعروف، فهو ما يعرف كل عاقل صوابه، وضده المنكر، وقيل: المعروف هاهنا: طاعة الله، والمنكر: معصيته.

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بُيُوتٌ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

قوله تعالى: **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَخْتَلَفُوا}** فيهم قولان. أحدهما: انهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين. والثاني: انهم الحرورية قاله أبو أمامة.

{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}

قوله تعالى: **{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}** قرأ أبو رزين العقيلي، و أبو عمران الجوني، و أبو نهيك: تبيض وتسود بكسر التاء فيهما. وقرأ الحسن، والزهري، وابن محيصن، و أبو الجوزاء: تبياض وتسواد بآلف، ومدة فيهما. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر. فأما الذين اسودت و ابياضت، بآلف ومدة. قال الزجاج: أخبر الله بوقت ذلك العذاب، فقال: يوم تبيض وجوه. قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة. وفي الذين اسودت وجوههم، خمسة أقوال.

أحدها: انهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق، قاله أبي بن كعب.

والثاني: انهم الحرورية، قاله أبو أمامة، واسحاق الهمداني.

والثالث: اليهود، قاله ابن عباس.

والرابع: انهم المنافقون، قاله الحسن.

والخامس: انهم أهل البدع، قاله قتادة.

قوله تعالى: { أَكْفَرْتُمْ } قال الزجاج: معناه: فيقال لهم: أكفرتم، فحذف القول

لأن في الكلام دليلاً عليه، كقوله تعالى: { وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا } [البقرة:

127]، أي: ويقولان: ربنا تقبل منا. ومثله: { مِّنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ } [

الرعد: 25، 26] والمعنى: يقولون: سلام عليكم. والآلف لفظها لفظ

الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ. فان قلنا: إنهم جميع الكفار، فانهم آمنوا

يوم الميثاق، ثم كفروا، وإن قلنا: إنهم الحرورية، وأهل البدع، فكفرهم بعد

إيمانهم: مفارقة الجماعة في الاعتقاد، وإن قلنا: اليهود، فانهم آمنوا بالنبي قبل

مبعثه، ثم كفروا بعد ظهوره، وإن قلنا:

المنافقون، فانهم قالوا بالسنتهم وأنكروا بقلوبهم.

قوله تعالى: { فَذُوقُوا الْعَذَابَ } أصل الذوق إنما يكون بالفم، وهذا استعارة

منه، فكأنهم جعلوا ما يتعرف ويعرف مذوقاً على وجه التشبيه بالذي يعرف عند

التطعم، تقول العرب: قد ذقت من إكرام فلان ما يرغبني في قصده، يعنون:

عرفت، ويقولون: ذق الفرس، فاعرف ما عنده.

قال تميم بن مقبل:

أو كاهتزاز رديني تذاوقه أيدي التجار فزادوا متنه لينا

وقال الآخر:

وإن الله ذاق حلوم قيس فلما راء خفتها قلاها

يعنون بالذوق: العلم. وفي كتاب الخليل: كل ما نزل بإنسان من مكروه، فقد

ذاقه.

{ وَأَمَّا الَّذِينَ بُيِضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

قوله تعالى: { وَأَمَّا الَّذِينَ بُيِضَّتْ وُجُوهُهُمْ } قال ابن عباس: هم المؤمنون.

ورحمة الله: جنته، قال ابن قتيبة: وسمى الجنة رحمة، لأن دخولهم إياها كان

برحمته، وقال الزجاج: معناه: في ثواب رحمته، قال: وأعاد ذكر «فيها» توكيداً.

{ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تُلْوَاهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ }

قوله تعالى: { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ } قال بعضهم: معناه: لا يعاقبهم بلا

جرم. وقال الزجاج: أعلمنا أنه يعذب من عذبه باستحقاق.

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ لِيُؤْمِنُوا وَأَكْثَرُهُمْ لَفَسِقُونَ }

قوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } سبب نزولها أن مالك بن الضيف ووهب بن يهودا اليهوديين، قالوا لابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة [و أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل]: ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن افضل منكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة، و مقاتل. وفيمن أريد بهذه الآية، أربعة أقوال. أحدها: انهم أهل بدر. والثاني: انهم المهاجرون. والثالث: جميع الصحابة. والرابع: جميع امة محمد صلى الله عليه وسلم، نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس. وقد روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى» قال الزجاج: وأصل الخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يعم سائر أمته.

وفي قوله تعالى: { كُنْتُمْ }، قولان.

أحدهما: أنها على أصلها، والمراد بها الماضي، ثم فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أن معناه: كنتم في اللوح المحفوظ.

والثاني: أن معناه: خلقتم ووجدتم. ذكرهما المفسرون.

والثالث: أن المعنى: كنتم مذكبتهم، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن معنى كنتم:

انتم، كقوله تعالى: { وَكَانَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } [النساء: 96].

ذكره الفراء، و الزجاج. قال ابن قتيبة: وقد يأتي الفعل على بنية الماضي، وهو

راهن، أو مستقبل، كقوله تعالى: { كُنْتُمْ } ومعناه: أنتم، ومثله: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ

يُعِيسَى عِيسَى } [المائدة: 116] أي: وإذ يقول. ومثله: { إِنِّي أَمْرٌ لِلَّهِ }

[النحل: 1]، أي: سيأتي، ومثله: { كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا } [مريم:

29] أي: من هو في المهد، ومثله: { وَكَانَ لِلَّهِ سَمِيعًا بَصِيرًا } [النساء: 134]

أي: والله سميع بصير، ومثله: { فَتَثِيرُ سَاحِبًا فَسُقْنَاءُ } [فاطر: 9] أي:

فنسوقه.

وفي قوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } قولان.

أحدهما: أن معناه: كنتم خير الناس للناس. قال أبو هريرة: يأتون بهم في

السلاسل حتى يدخلوهم في الإسلام.

والثاني: أن معناه: كنتم خير الأمم التي أخرجت.

وفي قوله تعالى: { تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } قولان.

أحدهما: أنه شرط في الخيرية، وهذا المعنى مروى عن عمر بن الخطاب،

ومجاهد، و الزجاج.

والثاني: أنه ثناء من الله عليهم، قاله الربيع بن أنس. قال أبو العالية: والمعروف: التوحيد. والمنكر: الشرك. قال ابن عباس: وأهل الكتاب: اليهود والنصارى.

قوله تعالى: {مَنْهُمْ لِمُؤْمِنُونَ} : من أسلم، كعبد الله بن سلام وأصحابه. {وَأَكْثَرُهُمْ لَفٰسِقُونَ}، يعني: الكافرين، وهم الذين لم يسلموا.

{لَنْ يَصُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَلَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ}

قوله تعالى: {لَنْ يَصُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ} قال مقاتل: سبب نزولها أن رؤساء اليهود عمدوا إلى عبد الله بن سلام وأصحابه فأذوهم لإسلامهم، فنزلت هذه الآية. قال ابن عباس: والأذى قولهم: {عَزِيْرٌ بِنُ اللَّهِ} [التوبة: 30] و {لَمَسِيْحٌ بِنُ اللَّهِ} [التوبة: 30] و {ثَلِيْثٌ ثَلَاثَةٌ} [المائدة: 73] وقال الحسن: هو الكذب على الله، ودعاؤهم المسلمين إلى الضلالة. وقال الزجاج: هو البهت والتحريف. ومقصود الآية: إعلام المسلمين بأنه لن ينالهم منهم إلا الأذى باللسان من دعائهم إياهم إلى الضلال، وإسماعهم الكفر، ثم وعدهم النصر عليهم في قوله: {وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَلَدْبَارَ}.

{صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَخِطَبٌ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمُ لِمَسْكَنَتِهِ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}

قوله تعالى: {أَيْنَ مَا تُقِفُوا} معناه: أدركوا ووجدوا، وذلك إنهم أين نزلوا احتاجوا إلى عهد من أهل المكان، وأداء جزية قال الحسن: أدركتهم هذه الأمة، وإن المجوس لنجبيهم الجزية. وأما الحبل، فقال ابن عباس، وعطاء، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد: الحبل العهد، قال بعضهم: ومعنى الكلام: إلا بعهد يأخذونه من المؤمنين بإذن الله. قال الزجاج: وما بعد الاستثناء في قوله تعالى: {إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ} ليس من الأول، وإنما المعنى: إنهم أذلاء، إلا إنهم يعتصمون بالعهد إذا أعطوه. وقد سبق في «البقرة» تفسير باقي الآية.

{لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ لِكْتَابٍ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آتَاءً لَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}

قوله تعالى {لَيْسُوا سَوَاءً} في سبب نزولها قولان.

أحدهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم، احتبس عن صلاة العشاء ليلة، حتى ذهب ثلث الليل ثم جاء فبشرهم، فقال: «إنه لا يصلي هذه الصلاة احد من أهل الكتاب» فنزلت هذه الآية قاله ابن مسعود.

والثاني: أنه لما أسلم ابن سلام في جماعه من اليهود، قال احبارهم: ما آمن بمحمد إلا أشرارنا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، و مقاتل. وفي معنى الآية قولان.

أحدهما: ليس أمة محمد واليهود سواء، هذا قول ابن مسعود، والسدي.

والثاني: ليس اليهود كلهم سواء، بل فيهم من هو قائم بأمر الله، هذا قول ابن عباس، وقتادة. وقال الزجاج: الوقف التام {لَيْسُوا سَوَاءً} أي: ليس أهل الكتاب متساوين. وفي معنى «قائمة» ثلاثة أقوال. أحدها: أنها الثابتة على أمر الله، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنها العادلة، قاله الحسن، و مجاهد، وابن جريج. والثالث: أنها المستقيمة، قاله أبو عبيد، و الزجاج. قال الفراء: ذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى، والكلام مبني على أخرى، لأن «سواء» لا بد لها من اثنين، وقد تستجيز العرب إضمار احد الشئيين إذا كان في الكلام دليل عليه، قال أبو ذؤيب:

عصيت إليها القلب إني لأمره سميع فما أدري أرشد طلابها؟

ولم يقل: أم لا، ولا أم غي، لأن الكلام معروف المعنى. وقال آخر:

وما أدري إذا يمت أرضا أريد الخير ايها يليني

ألخير الذي انا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني

ومثله قوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آٰنَاءَ لَيْلٍ سَّجِدًا وَقَائِمًا} [الزمر: 9] ولم يذكر ضده، لأن في قوله: {قُلْ هِيَ يَسْتَوِي لَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ لَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 9]. دليلا على ما أضمر من ذلك، وقد رد هذا القول الزجاج، فقال: قد جرى ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى:

{كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآٰيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} فأعلم الله أن منهم أمة قائمة. فما الحاجة إلى أن يقال: وأمة غير قائمة؟ وإنما بدأ بذكر فعل الأكثر منهم، وهو الكفر والمشاقة، فذكر من كان منهم مباينا لهؤلاء. قال: و «آناء الليل» ساعاته، وواحد الآناء: إني. قال ابن فارس: يقال: مضى من الليل إني، وإتيان، والجمع: الآناء. واختلف المفسرون: هل هذه الآناء معينة من الليل أم لا؟ على قولين.

أحدهما: أنها معينة، ثم فيها ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها صلاة العشاء، قاله ابن مسعود، و مجاهد.

والثاني: أنها ما بين المغرب والعشاء، رواه سفيان عن منصور.

والثالث: جوف الليل، قاله السدي.

والثاني: أنها ساعات الليل من غير تعيين، قاله قتادة في آخرين.

وفي قوله تعالى: {وَهُمْ يَسْجُدُونَ} قولان.

أحدهما: أنه كناية عن الصلاة، قاله مقاتل، و الفراء، و الزجاج.

والثاني: أنه السجود المعروف، وليس المراد انهم يتلون في حال السجود، ولكنهم جمعوا الأمرين، التلاوة والسجود.

{يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآخِرَ الْآخِرِينَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ {

قوله تعالى: { وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ } قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: تفعلوا، وتكفروه، بالتاء في الموضعين على الخطاب، لقوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ }. قال قتادة: فلن تكفروه: لن يضل عنكم. وقرأ قوم، منهم حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وعبد الوارث عن أبي عمرو: يفعلوا، ويكفروا، بالياء فيهما، إخباراً عن الأمة القائمة. وبقيّة أصحاب أبي عمرو يخبرون بين الياء والتاء.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} * مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {

قوله تعالى: { مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } اختلفوا فيمن انزلت على أربعة أقوال.

أحدها: أنها في نفقات الكفار، وصدقاتهم، قاله مجاهد.

والثاني: في نفقة سفلة اليهود على علمائهم، قاله مقاتل.

والثالث: في نفقة المشركين يوم بدر.

والرابع: في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين، ذكر

هذين القولين أبو الحسن الماوردي. وقال السدي: إنما ضرب الإنفاق مثلاً

لأعمالهم في شركهم. وفي الصر ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه البرد، قاله الأكثرون.

والثاني: أنه النار، قاله ابن عباس، وقال ابن الأنباري: وإنما وصفت النار بأنها

صر لتصويتها عند الالتهاب.

والثالث: أن الصر: التصويت، والحركة من الحصى والحجارة، ومنه صرير

النعل، ذكره ابن الأنباري. والحرث: الزرع. وفي معنى «ظلموا أنفسهم»

قولان.

أحدهما: ظلموها بالكفر، والمعاصي، ومنع حق الله تعالى.

والثاني: بأن زرعوها في غير وقت الزرع.

قوله تعالى: { وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ } قال ابن عباس: أي: ما نقصهم ذلك بغير جرم

أصابوه، وإنما أنزل بهم ذلك لظلمهم أنفسهم بمنع حق الله منه، وهذا مثل

ضربه الله لإبطال أعمالهم في الآخرة. وحدثنا عن ثعلب، قال: بدأ الله تعالى

هذه الآية بالريح، والمعنى: على الحرث، كقوله تعالى { كَمَثَلِ لَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ } وإنما المعنى على المنعوق به وقريب منه قوله تعالى: { وَ لَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ } فخير عن «الازواج» وترك «الذين» كأنه قال: أزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، فبدأ بالذين ومراده: بعد الأزواج. وأنشد:
لعلي إن مالت بي الريح ميلة على ابن أبي ديان أن يتندما

فخير عن ابن أبي ديان،

وترك نفسه، وإنما أراد: لعل ابن أبي ديان أن يتندما إن مالت بي الريح ميلة. وقد بدأ بالشيء، والمراد التأخير، كقوله تعالى: { وَيَوْمَ لَقِيْمَةَ تَرَى لِّلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ } [الزمر: 60] والمعنى: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة يوم القيامة.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيْطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خِيَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ لِبَعْضَاءٍ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَحْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَةَ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ }

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيْطَانَةً مِّن دُونِكُمْ } قال ابن عباس و، مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصفون المنافقين، ويواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة، والصدقة، والجوار، والرضاع، والحلف، فنهوا عن مبايعتهم. قال الزجاج: البيطانة: الدخلاء الذين يستبطنون [أمره] وينبسط إليهم، يقال: فلان بيطانة لفلان، أي: مداخل له، مؤانس. ومعنى لا يألونكم: لا يتقون غاية في إلقاءكم فيما يضركم.

قوله تعالى: { وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ } أي: ودوا عنتكم، وهو ما نزل بكم من مكروه وضر، يقال: فلان يعنت فلانا، أي: يقصد إدخال المشقة والأذى عليه، وأصل هذا من قولهم: أكمة عنوت، إذا كانت طويلة، شاقة المسلك. قال ابن قتيبة: ومعنى { مِّن دُونِكُمْ } أي: من غير المسلمين. والخبال: الشر.

قوله تعالى: { قَدْ بَدَتِ لِبَعْضَاءٍ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ } قال ابن عباس: أي: قد ظهر لكم منهم الكذب، والشتم، ومخالفة دينكم. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العمالات والكتبة، ولهذا قال أحمد: لا يستعين الإمام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب. وروي عن عمر أنه بلغه أن ابا موسى استكتب رجلا من أهل الذمة، فكتب إليه يعنفة، وقال: لا تردوهم إلى العز بعد إذ أذلهم الله.

{ هَآأَنْتُمْ أَوْلَىٰ ءِ تَحِبُّوْتَهُمْ وَلَا يُحِبُّوْتَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِ لِكْتَابِ كَلِّهِ وَإِذَا لَقُوْتُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ أَلَتَاْمِلَ مِّن لَّعِيْظٍ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِن اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِدَاتِ الصُّدُوْرِ }

قوله تعالى: { أَنْتُمْ * أَوْلَاءُ تُحِبُّوهُمْ } قال ابن عباس: كان عامة الأنصار يواصلون اليهود ويواصلونهم، فلما أسلم الأنصار بغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية. والخطاب بهذه الآية للمؤمنين. قال ابن قتيبة: ومعنى الكلام: ها أنتم يا هؤلاء. فأما «تحبونهم». فالهاء والميم عائدة إلى الذين نهوا عن مصافاتهم. وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال.

أحدها: أنها الميل اليهم بالطباع، لموضع القرابة، والرضاع، والحلف، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس.

والثاني: أنها بمعنى الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد، وهذا المعنى منقول عن قتادة.

والثالث: أنها لموضع إظهار المنافقين الإيمان، روي عن أبي العالية.

والرابع: أنها بمعنى إرادة الإسلام لهم، وهم يريدون المسلمين على الكفر، وهذا قول المفضل، و الزجاج. والكتاب: بمعنى الكتب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: { كَلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا } هذه حالة المنافقين، وقال مقاتل: هم اليهود. والأنامل: أطراف الأصابع. قال ابن عباس: والغيط: الحنق عليكم، وقيل: هذا من مجاز الكلام، ضرب مثلا لما حل بهم، وإن لم يكن هناك عض على أنملة، ومعنى «موتوا بغيطكم»: ابقوا به حتى تموتوا، وإنما كان غيظهم من رؤية شمل المسلمين ملتئما. قال ابن جرير: هذا أمر من الله تعالى لنبيه أن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كمدا من الغيط.

{ إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَضَرُّوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }

قوله تعالى: { إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ } قال قتادة: وهي الألفة والجماعة.

والسيئة: الفرقة والاختلاف، وإصابة طرف من المسلمين. وقال ابن قتيبة:

الحسنة: النعمة؛ والسيئة: المصيبة.

قوله تعالى: { وَإِنْ تَضَرُّوا } فيه قولان. أحدهما: على أذاهم، قاله ابن عباس.

والثاني: على أمر الله، قاله مقاتل.

وفي قوله تعالى: { وَتَتَّقُوا } قولان.

أحدهما: الشرك، قاله ابن عباس.

والثاني: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { لَا يَضُرُّكُمْ } قرأ ابن كثير، ونافع، و أبو عمرو، يضركم بكسر

الضاد، وتخفيف الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: لا يضركم

بضم الضاد وتشديد الراء. قال الزجاج: الضر والضير بمعنى واحد. فأما الكيد

فقال ابن قتيبة: هو المكر. قال أبو سليمان الخطابي: والمحيط: الذي أحاطت

قدرته بجميع خلقه، وأحاط علمه بالأشياء كلها.

{ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

قوله تعالى: { وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ } قال المفسرون: في هذا الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولقد نصركم الله بيدر، وإذ عدوت من أهلك. وقال ابن قتيبة: توىء، من قولك: بواتك منزلاً: إذا أفدتك إياه، أو أسكنتكه. ومعنى مقاعد للقتال: المعسكر والمصاف. واختلفوا في أي يوم كان ذلك على ثلاثة أقوال. أحدها: أنه يوم أحد، قاله عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس، والزهري، وقتادة، والسدي، والربيع، وابن اسحاق، وذلك أنه خرج يوم أحد من بيت عائشة إلى أحد، فجعل يصف أصحابه للقتال. والثاني: أنه يوم الأحزاب، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل.

والثالث: يوم بدر، نقل عن الحسن أيضاً. قال ابن جرير: والأول أصح، لقوله تعالى: { إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا } وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد.

قوله تعالى: { وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } قال أبو سليمان الدمشقي: سميع لمشاورتك إياهم في الخروج، ومرادهم للخروج، عليم بما يخفون من حب الشهادة. { إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } {

قوله تعالى: { إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا } قال الزجاج: كنت النبوة في ذلك الوقت. وتفشلا: تجبنا، وتخوار. { وَاللَّهُ وَلِيَّهُمَا }، أي: ناصرهما. قال جابر بن عبد الله: نحن هم بنو سلمة، وبنو حارثة، وما نحب أن لو لم يكن ذلك لقول الله: { وَاللَّهُ وَلِيَّهُمَا }. وقال الحسن: [هما] طائفتان من الأنصار همتا بذلك، فعصمهما الله. وقيل: لما رجع عبد الله ابن أبي في أصحابه يوم أحد، همت الطائفتان باتباعه، فعصمهما الله.

فصل

فأما التوكل، فقال ابن عباس: هو الثقة بالله. وقال ابن فارس: هو إظهار العجز [في الأمر]، والاعتماد على غيرك، ويقال: فلان وكله تكلة، أي: عاجز، يكل أمره إلى غيره. وقال غيره: هو تفعل من الوكالة، يقال: وكلت أمري إلى فلان فتوكل به، أي: ضمنه، وقام به، وأنا متوكل عليه. وقال بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره.

{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ وَتَفُؤُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } {

قوله تعالى: { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ } في تسمية بدر قولان.

أحدهما: أنها بئر لرجل اسمه بدر، قاله الشعبي.

والثاني: أنه اسم للمكان الذي التقوا عليه، ذكره الواقدي عن أشياخه.

قوله تعالى: { وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ } أي: لقلة العدد والعدد. { لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }، أي: لتكونوا من الشاكرين.

{ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ }

قوله تعالى: { إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ } قال الشعبي: قال كرز بن جابر لمشركي مكة: إني أمدكم بقومي، فاشتد ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية، وفي أي يوم كان ذلك فيه قولان. أحدهما: يوم بدر، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. والثاني: يوم أحد، وعدهم فيه بالمدد إن صبروا، فلما لم يصبروا، لم يمدوا، روي عن عكرمة، والضحاك، ومقاتل، والأول أصح. والكافية: مقدار سد الخلة. والاكتفاء: الاقتصار على ذلك. والإمداد: إعطاء الشيء بعد الشيء.

قوله تعالى: { مُنَزَّلِينَ } قرأ الأكثرون بتخفيف الزاي، وشدها ابن عامر. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَتَرْتَبُونَ فَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ رِكْعًا مِّنَ اللَّيْلِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } قوله تعالى: { وَيَأْتُوكُم مِّن قَوْمِهِمْ هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ }

قوله تعالى: { وَيَأْتُوكُم مِّن قَوْمِهِمْ هَذَا } فيه قولان. أحدهما: أن معناه: من وجههم وسفرهم هذا، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والزجاج.

والثاني: من غضبهم هذا، قاله عكرمة، ومجاهد، والضحاك في آخرين. قال ابن جرير: من قال من وجههم، أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر، ومن قال: من غضبهم، أراد ابتداء غضبهم لقتلهم يوم بدر. وأصل الفور: ابتداء الأمر يؤخذ فيه، يقال: فارت القدر: إذا ابتداء ما فيها بالغيان، ثم اتصل. وقال ابن فارس: الفور: الغليان، يقال: فارت القدر تفور، وفار غضبه: إذا جاش، ويقولون: فعله من فوره، أي: قبل أن يسكن.

وفي يوم فورهم قولان.

أحدهما: أنه يوم بدر، قاله قتادة.

والثاني: يوم أحد، قال مجاهد، والضحاك، كانوا غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا.

قوله تعالى: { مُسَوِّمِينَ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم بكسر الواو، والباقون بفتحها، فمن فتح الواو، أراد أن الله سومها، ومن كسرهما، أراد أن الملائكة سومت أنفسها. وقال الأخفش: سومت خيلها، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم بدر: «سوموا فان الملائكة قد سومت» ونسب الفعل إليها، فهذا دليل الكسر. قال ابن قتيبة: ومعنى مسومين: معلمين بعلامة الحرب، وهو من السيماء [مأخوذ] والسومة: العلامة التي يعلم بها الفارس نفسه. قال علي رضي الله عنه: وكان سيماء خيل الملائكة يوم بدر، الصوف الأبيض في أذنانها ونواصيها. وقال أبو هريرة: العهن الأحمر. وقال مجاهد: كانت أذنان خيولهم مجزوزة، وفيها العهن. وقال هشام بن عروة:

كانت الملائكة على خيل بلق، وعليهم عمائم صفر. وروى ابن عباس عن رجل من بني غفار قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرا، ونحن على شركنا، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الخيل، سمعنا فيها حممة الخيل وسمعنا فارسا يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم انتعشت. وقال أبو داود المازني: إني لأتبع يوم بدر رجلا من المشركين لأضربه، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله. وفي عدد الملائكة يوم بدر خمسة أقوال.

أحدها: خمسة آلاف، قاله الحسن. وروى جبير بن مطعم عن علي رضي الله عنه، قال: بينا أنا أمتح من قليب بدر، جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله، وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله، وكنت عن يساره، وهزم الله أعداءه.

والثاني: أربعة آلاف: قاله الشعبي.

والثالث: ألف، قاله مجاهد.

والرابع: تسعة آلاف، ذكره الزجاج.

والخامس: ثمانية آلاف، ذكره بعض المفسرين.

{ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِعَزِيزٍ لَّحِيمٍ }

قوله تعالى: { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ } يعني المدد { إِلَّا بُشْرَىٰ }، أي: إلا بشارة تطيب أنفسكم، { وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ }، فتسكن في الحرب، ولا تجزع، والأكثرين على أن هذا المدد يوم بدر. وقال مجاهد: يوم أحد، وروي عنه ما يدل على أن الله أمدهم في اليومين بالملائكة جميعا، غير أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر. قوله تعالى: { وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } أي: ليس بكثرة العدد والعدد.

{ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ }

قوله تعالى: { لِيَقْطَعَ طَرَفًا } معناه: نصركم ببدر ليقطع طرفا. قال الزجاج: أي: ليقتل قطعة منهم. وفي أي يوم كان ذلك فيه قولان.

أحدهما: في يوم بدر، قاله الحسن، وقتادة، والجمهور.

والثاني: يوم أحد، قتل منهم ثمانية وعشرون، قاله السدي.

قوله تعالى: { أَوْ يَكْبِتَهُمْ } فيه سبعة أقوال.

أحدها: أن معناه يهزمهم، قاله ابن عباس، و الزجاج.

والثاني: يخزيهم، قاله قتادة، و مقاتل.

والثالث: يصرعهم، قاله أبو عبيد، واليزيدي. وقال الخليل: هو الصرع على الوجه.

والرابع: يهلكهم قاله أبو عبيدة.

والخامس: يلعنهم، قاله السدي.

والسادس: يظفر عليهم، قاله المبرد.

والسابع: يغيظهم، قاله النضر بن شميل، واختاره ابن قتيبة. وقال ابن قتيبة:

أهل النظر يرون أن التاء فيه منقلبة عن دال، كان الأصل فيه: يكبدهم، أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيط، وشدة العداوة، ومنه يقال: فلان قد أحرق الحزن كبده، وأحرق العداوة كبده، والعرب تقول: العدو: اسود الكبد. قال الأعشى:

فما أجشمت من إتيان قوم هم الأعداء والأكباد سود

كأن الأكباد لما احترقت بشدة العداوة، اسودت، ومنه يقال للعدو: كاشح، لأنه يخبأ العداوة في كشحه. والكشح: الخصرة، وإنما يريدون الكبد، لأن الكبد هناك. قال الشاعر:

وأضمر أضغانا علي كشوحها

والتاء والبدال متقاربتا المخرج، والعرب تدغم احدهما في الاخرى، وتبدل احدهما من الاخرى كقولهم: هرت الثوب وهرده: إذا خرقة، وكذلك: كبت العدو، وكبده، ومثله كثير.

قوله تعالى: {يَكْتِبُهُمْ فَيَنْقَلِبُوهَا خَائِبِينَ} قال الزجاج: الخائب: الذي لم ينل ما أمل. وقال غيره: الفرق بين الخيبة واليأس، أن الخيبة لا تكون إلا بعد الأمل، واليأس قد يكون من غير أمل.

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}

قوله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} في سبب نزولها خمسة أقوال.

أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلي ربهم عز وجل؟» فنزلت هذه الآية، أخرج مسلم في «أفراده» من حديث أنس. وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والربيع.

والثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن قوما من المنافقين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر.

والثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم هم بسبب الذين انهزموا يوم أحد، فنزلت هذه الآية، فكف عن ذلك، نقل عن ابن مسعود، وابن عباس.

والرابع: أن سبعين من أهل الصفة خرجوا إلى قبيلتين من بني سليم، عصية وذكوان، فقتلوا جميعاً، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم أربعين يوماً، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل ابن سليمان.

والخامس: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة ممثلاً به، قال: «لأمثلن بكذا وكذا منهم» فنزلت هذه الآية، قاله الواقي. وفي معنى الآية قولان.

أحدهما: ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم شيء.

والثاني: ليس لك من النصر والهزيمة شيء. وقيل: إن «لك» بمعنى «إليك». قوله تعالى: {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} قال الفراء: في نصبه وجهان، إن شئت جعلته معطوفاً على قوله تعالى: {لَيَقْطَعَ طَرَفًا} وإن شئت جعلت نصبه على مذهب

«حتى» كما تقول: لا أزال معك حتى تعطيني، ولما نفى الأمر عن نبيه، أثبت أن جميع الأمور إليه بقوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}.

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ مَصْعَفًا مَّصْعَفَةً وَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ} قال أهل التفسير: هذه الآية نزلت في ربا الجاهلية. قال سعيد بن جبير: كان الرجل يكون له على الرجل المال، فاذا حل الأجل، فيقول: أخرجني، وأزيدك على مالك، فتلك الأضعاف المضاعفة.

{وَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

قوله تعالى: {وَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} قال ابن عباس: هذا تهديد للمؤمنين، لئلا يستحلوا الربا. قال الزجاج: والمعنى: اتقوا أن تحلوا ما حرم الله فتكفروا.

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}

قوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} كلهم أثبت الواو في «وسارعوا» إلا نافعاً، وابن عامر، فانهما لم يذكرها. وقال أبو علي: وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام، فمن قرأ بالواو، عطف «وسارعوا» على «وأطيعوا» ومن حذفها، فلأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى، فاستغنت عن العطف. ومعنى الآية: يادروا إلى ما يوجب المغفرة وفي المراد بموجب المغفرة. ها هنا عشرة أقوال.

أحدها: أنه الإخلاص، قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه. والثاني: أداء الفرائض، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والثالث: الإسلام، قاله ابن عباس.

والرابع: التكبيرة الاولى من الصلاة، قاله أنس بن مالك.

والخامس: الطاعة، قاله سعيد بن جبير.

والسادس: التوبة، قاله عكرمة.

والسابع: الهجره، قاله أبو العالية.

والثامن: الجهاد، قاله الضحاك.

والتاسع: الصلوات الخمس، قاله يمان.

والعاشر: الأعمال الصالحة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ } قال ابن قتيبة: أراد بالعرض السعة، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول، والعرب تقول: بلاد عريضة، أي: واسعة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم للمنهزمين يوم أحد «لقد ذهبتم فيها عريضة».

قال الشاعر:

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

قال: وأصل هذا من العرض الذي هو خلاف الطول، وإذا عرض الشيء اتسع، وإذا لم يعرض ضاق ودق. وقال سعيد بن جبير: لو ألصق بعضهم إلى بعض كانت الجنة في عرضهن.

{ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَ الْكُظْمِينَ لِعَيْظٍ وَ لِعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }

قوله تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ } قال ابن عباس: في العسر واليسر. ومعنى الآية: انهم رغبوا في معاملة الله، فلم يبطرهم الرخاء، فينسيهم، ولم تمنعهم الضراء فيبخلوا.

قوله تعالى: { وَ الْكُظْمِينَ لِعَيْظٍ } قال الزجاج: يقال: كظمت الغيظ: إذا أمسكت على ما في نفسك منه، وكظم البعير على جرتة: إذا ردها في حلقه. وقال ابن الأنباري: الأصل في الكظم: الإمساك على غيظ وغم. وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى».

قوله تعالى: «والعافين عن الناس» فيه قولان.

أحدهما: أنه العفو عن المماليك، قاله ابن عباس، والربيع.

والثاني: أنه على إطلاقه، فهم يعفون عن ظلمهم، قاله زيد بن أسلم، و مقاتل.

{ وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فِجْشِيَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ وَ سَتَّعَفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَعْفُرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ }

حَزَّاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ {

قوله تعالى: { وَ لَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً } في سبب نزولها ثلاثة أقوال. أحدها: أن امرأة أتت إلى نبهان التمار تشتري منه تمرا فضمها، وقبلها، ثم ندم، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: أن أنصاريًا وثقفيا آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينها، فخرج الثقفي مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه، فكان الأنصاري يتعهد أهل الثقفي، فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها، فدخل ولم يستأذن؛ فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها، فقبله ثم ندم، فأدبر راجعا، فقالت: سبحان الله خنت أمانتك، وعصيت ربك، ولم تصب حاجتك. قال: فخرج يسبح في الجبال، ويتوب إلى الله من ذنبه. فلما قدم الثقفي أخبرته المرأة بفعله، فخرج يطلبه حتى دل عليه، فندم على صنيعه فوافقه ساجدا يقول: ذنبي ذنبي، قد خنت أخي. فقال له: يا فلان انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ذنبك، لعل الله أن يجعل لك مخرجا، فرجع إلى المدينة، فنزلت هذه الآية بتوبته، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وذكره مقاتل. والثالث: أن المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب، أصبحت كفارة ذنوبه مكتوبة في عتبة بابه، فنزلت هذه الآية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم بخير من ذلك» فقرأ هذه الآية والتي قبلها، هذا قول عطاء. واختلفوا هل هذه الآية نعت للمنفقين في السراء والضراء؟ أم لقوم آخرين؟ على قولين. أحدهما: أنها نعت لهم، قاله الحسن.

والثاني: أنها لصنف آخر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والفاحشة: القبيحة وكل شيء جاوز قدره، فهو فاحش. وفي المراد بها هاهنا قولان.

أحدهما: أنها الزنى. قاله جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها كل كبيرة، قاله جماعة من المفسرين. واختلفوا في «الظلم» المذكور بعدها، فلم يفرق قوم بينه وبين الفاحشة، وقالوا: الظلم للنفس فاحشة أيضا، وفرق آخرون، فقالوا: هو الصغائر. وفي قوله تعالى: { ذكروا الله } قولان.

أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار، قاله ابن مسعود، وعطاء في آخرين. والثاني: أنه ذكر القلب، ثم فيه خمسة أقوال. أحدها: أنه ذكر العرض على الله، قاله الضحاك. والثاني: أنه ذكر السؤال عنه يوم القيامة، قاله الواقي.

والثالث: ذكر وعيد الله لهم على ما أتوا، قاله ابن جرير.
والرابع: ذكر نهى الله لهم عنه.

والخامس: ذكر غفران الله: ذكر القولين أبو سليمان الدمشقي.
فأما الإصرار، فقال الزجاج: هو الإقامة على الشيء. وقال ابن فارس: هو العزم على الشيء والثبات عليه. وللمفسرين في المراد بالاصرار ثلاثة أقوال. أحدها: أنه موافقة الذنب عند الاهتمام به. وهذا مذهب مجاهد. والثاني: أنه الثبوت عليه من غير استغفار، وهذا مذهب قتادة، وابن اسحاق. والثالث: أنه ترك الاستغفار منه، وهذا مذهب السدي. وفي معنى {عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ثلاثة أقوال.

أحدها: وهم يعلمون أن الإصرار يضر، وإن تركه أولى من التماسه، قاله ابن عباس، والحسن.

والثاني: يعلمون أن الله يتوب على من تاب، قاله مجاهد، وأبو عمار.
والثالث: يعلمون أنهم قد أذنبوا، قاله السدي، ومقاتل.

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ}

قوله تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} السنن؛ جمع سنة، وهي الطريقة. وفي معنى الكلام قولان.

أحدهما: قد مضى قبلكم أهل سنن وشرائع، فانظروا ماذا صنعنا بالمكذبين منهم، وهذا قول ابن عباس.

والثاني: قد مضت قبلكم سنن الله في إهلاك من كذب من الأمم، فاعتبروا بهم، وهذا قول مجاهد. وفي معنى {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} قولان.

أحدهما: أنه السير في السفر. قال الزجاج: إذا سرتهم في أسفاركم، عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم.

والثاني: أنهم التفكر. ومعنى: فانظروا؛ اعتبروا، والعاقبة: آخر الأمر.

{هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}

قوله تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} قال سعيد بن جبیر: هذه الآية أول ما نزل من آل «عمران» وفي المشار إليه ب «هذا» قولان.

أحدهما: أنه القرآن، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: أنه شرح أخبار الأمم السالفة، قاله ابن اسحاق. والبيان: الكشف عن الشيء، وبيان الشيء؛ اتضح، وفلان أبين من فلان، أي: أفصح. قال الشعبي:

هذا بيان للناس من العمى، وهدى من الضلالة، وموعظة من الجهل.

{وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

قوله تعالى: {وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا} سبب نزولها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنهزموا يوم أحد، أقبل خالد بن الوليد يخيل المشركين يريد

أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك» فنزلت هذه الآيات، قاله ابن عباس. قال ابن عباس، وجاهد: {وَلَا تَهِنُوا} أي: ولا تضعفوا. وفيما نهوا عن الحزن عليه أربعة أقوال. أحدها: أنه قتل إخوانهم من المسلمين، قاله ابن عباس. والثاني: أنه هزيمتهم يوم أحد، وقتلهم قاله، مقاتل. والثالث: أنه ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من شجه، وكسر ربايعته، ذكره الماوردي.

والرابع: أنه ما فات من الغنيمة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. قوله تعالى: {وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ} قال ابن عباس: يقول أنتم الغالبون فأخر الامر لكم.

{إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ لِقَوْمٍ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}

قوله تعالى: {إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ} قال ابن عباس: أصابهم يوم أحد قرح، فشكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لقوا، فنزلت هذه الآية. فأما المس، فهو الإصابة، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع «قرح» بفتح القاف. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم «قرح» بضم القاف. واختلفوا هل معنى القراءتين واحد أم لا؟ فقال أبو عبيد: القرح بالفتح: الجراح، والقتل. والقرح بالضم: ألم الجراح. وقال الزجاج: هما في اللغة بمعنى واحد، ومعناه: الجراح وألمها، قال: ومعنى نداولها، أي: نجعل الدولة في وقت للكفار على المؤمنين، إذا عصى المؤمنون، فأما إذا أطاعوا، فهم منصورون، قال ومعنى {عَبْدُ اللَّهِ} أي: ليعلم واقعا منهم، لأنه عالم قبل ذلك، وإنما يجازي على ما وقع. وقال ابن عباس: معنى العلم هاهنا: الرؤية.

قوله تعالى: {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} قال أبو الضحى: نزلت في قتلى أحد، قال ابن جريج: كان المسلمون يقولون: ربنا أرنا يوما كيوم بدر، نلتمس فيه الشهادة، فاتخذ منهم شهداء يوم أحد. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: المنافقون: وقال غيره: هم الذين انصرفوا يوم أحد مع ابن أبي المنافق.

{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ}

قوله تعالى: {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} قال الزجاج: معنى الكلام: جعل الله الايام مداولة بين الناس، ليمحص المؤمنين، ويمحق الكافرين. وفي التمحيص قولان.

أحدهما: أنه الابتلاء والاختبار، وأنشدوا:

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

وهو قول الحسن، وجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة في آخرين.

والثاني: أنه التنقية، والتخليص، وهو قول الزجاج. وحكي عن المبرد، قال: يقال: محص الحبل محصاً: إذا ذهب منه الوبر حتى يتخلص ومعنى قولهم: [اللهم] محص عنا ذنوبنا: أذهبها عنا. وذكر الزجاج عن الخليل أن التمحيص: التخليص، يقال: محصت الشيء أمحصه محصاً: إذا أخلصته. فعلى القول الأول التمحيص: ابتلاء المؤمنين بما يجري عليهم، وعلى الثاني: هو تنقيتهم من الذنوب بذلك. قال الفراء: معنى الآية: وليمحص الله بالذنوب عن الذين آمنوا. قوله تعالى: {وَيَمْحَقَ الْكُفْرَيْنَ} فيه أربعة أقوال. أحدها: يهلكهم، قاله ابن عباس. والثاني: يذهب دعوتهم، قاله مقاتل. والثالث: ينقصهم ويقللهم، قاله الفراء. والرابع: يحبط أعمالهم، ذكره الزجاج.

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الضَّالِّينَ * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ لَمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ }

قوله تعالى: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ لَمَوْتَ} قال ابن عباس: لما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، بما فعل بشهداء يوم بدر من الكرامة، رغبوا في ذلك، فتمنوا قتالا يستشهدون فيه، فيلحقون باخوانهم فأراهم الله يوم أحد، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء إليه منهم، فنزل فيهم {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ لَمَوْتَ} يعني القتال {مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ} أي: من قبل أن تنظروا إليه يوم أحد {فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} يومئذ، قال الفراء، وابن قتيبة: أي: رأيتم أسبابه، وهي السيف ونحوه من السلاح. وفي معنى {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} ثلاثة أقوال.

أحدها: تنظرون إلى السيوف، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه ذكر للتوكيد، قاله الأخفش. وقال الزجاج: معناه: فقد رأيتموه، و انتم بصراء، كما تقول: رأيت كذا وكذا، وليس في عينك علة، أي: رأيته رؤية حقيقة.

والثالث: أن معناه: وأنتم تنظرون ما تمنيتم. وفي الآية إضمار [أي: فقد رأيتموه و انتم تنظرون] فلم انهزمتم؟.

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} قال ابن عباس: صاح الشيطان يوم أحد: قتل محمد. فقال قوم: لئن كان قتل لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرننا وإخواننا، ولو كان محمد حيا لم نهزم، فترخصوا في الفرار، فنزلت هذه الآية، وقال الضحاك: قال قوم من المنافقين: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية، وقال قتادة: قال أناس: لو كان نبيا ما قتل، وقال ناس من عليّة

أصحاب رسول الله: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فنزلت هذه الآية. ومعنى الآية: أنه يموت كما ماتت قبله الرسل، أفان مات على فراشه، أو قتل كمن قتل قبله من الأنبياء، أتقبلون على أعقابكم؟ أي: ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر؟ وهذا على سبيل المثل، يقال لكل من رجع عما كان عليه: قد انقلب على عقبيه، وأصله: رجعة القهقري، والعقب: مؤخر القدم. قوله تعالى: { فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا } أي: لن ينقص الله شيئاً برجوعه، وإنما يضر نفسه. { وَسَيَجْزِي } أي: يثيب الشاكرين، وفيهم ثلاثة أقوال. أحدها: انهم الثابتون على دينهم، قاله علي رضي الله عنه، وقال: كان أبو بكر أمير الشاكرين.

والثاني: انهم الشاكرون على التوفيق والهداية.
والثالث: على الدين.

{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ }

قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } في الإذن قولان. أحدهما: أنه الأمر، قاله ابن عباس. والثاني: الإذن نفسه، قاله مقاتل. قال الزجاج: ومعنى الآية: وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله. قوله تعالى: { كِتَابًا مُّؤَجَّلًا } توكيد، والمعنى: كتب الله ذلك كتاباً مؤجلاً، أي: كتاباً ذا أجل. والأجل: الوقت المعلوم، ومثلم في التوكيد { كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } [النساء: 22] دل على أنه مفروض، فأكد بقوله { كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } [النساء: 24] وكذلك قوله تعالى: { صُنِعَ اللَّهُ } [النمل: 88] لأنه لما قال: { وَتَرَى لِحَبَالٍ تَخْسِبَهَا جَمِدَةً } [النمل: 88] دل على أنه خلق الله فأكد بقوله: { صُنِعَ اللَّهُ }. قوله تعالى: { وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا } أي: من قصد بعمله الدنيا، أعطي منها، قليلاً كان أو كثيراً، ومن قصد الآخرة بعمله، أعطي منها. وقال مقاتل: عنى بالآية: من ثبت يوم أحد، ومن طلب الغنيمة.

فصل

وأكثر العلماء على أن هذا الكلام محكم، وذهبت طائفة إلى نسخه بقوله تعالى: { عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ } [الاسراء: 18] والصحيح أنه محكم، لأنه لا يؤتى أحد شيئاً إلا بقدره الله ومشيبته.

ومعنى قوله تعالى: { نُؤْتِهِ مِنْهَا } أي: ما نشاء، وما قدرنا له، ولم يقل: ما يشاء هو.

{ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا صَعَفُوا وَمَا سُدَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَاللَّهُ يَجِبُ الصَّابِرِينَ }

قوله تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ } قرأ الجمهور «وكأين» في وزن «كعين». وقرأ ابن كثير و«كائن» في وزن «كاعن» قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «كأين» مثل: «كعين» ينصبون الهمزة، ويشددون الياء. وتميم يقولون: و«كائن» كأنها فاعل من كئت وأنشدني الكسائي:

وكائن ترى يسعى من الناس جاهدا على ابن غدا منه شجاع وعقرب

وقال آخر:

وكائن أصابت مؤمنا من مصيبة على الله عقباها ومنه ثوابها

وقال ابن قتيبة: كائن بمعنى «كم» مثل قوله: { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا } [الطلاق: 8] وقد قرىء بهما [جميعا في القرآن] والأكثر والأفصح تخفيفها. قال الشاعر:

وكائن أرينا الموت من ذي تحية إذا ما ازدرانا أو أصر لمأثم

وقال الآخر:

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم
قوله تعالى: { قَاتِلْ مَعَهُ رِبِّيُونَ } قرأ ابن كثير، ونافع، أبو عمرو، وأبان، والمفضل كلاهما عن عاصم: «قتل» بضم القاف، وكسر التاء، من غير ألف، وقرأ الباقر: «قاتل» بألف، وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو رجاء، والحسن، وابن يعمر، وابن جبير، وقتادة، وعكرمة، وأيوب: «ربيون» بضم الراء. وقرأ ابن عباس، وأنس، وأبو مجلز، وأبو العالية، والجدري، بفتحها. فعلى حذف الألف يحتمل وجهين.

أحدهما: أن يكون قتل للنبي وحده، ويكون المعنى: وكأين من نبي قتل، ومعه ربيون، فما وهنوا بعد قتله.

والثاني: أن يكون قتل للربيين، ويكون: «فما وهنوا» لمن بقي منهم. وعلى إثبات الألف يكون المعنى: أن القوم قاتلوا، فما وهنوا. وفي معنى الربيين خمسة أقوال.

أحدها: أنهم الألو، قاله ابن مسعود، وابن عباس، في رواية واختاره الفراء. والثاني:

الجماعات الكثيرة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة و الضحاك، وقتادة، والسدي، والربيع، واختاره ابن قتيبة.

والثالث: أنهم الفقهاء والعلماء، رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وبه قال الحسن واختاره اليزيدي و الزجاج.

والرابع: أنهم الاتباع قاله ابن زيد.

والخامس: أنهم المتألهون العارفون بالله تعالى قاله ابن فارس.
قوله تعالى: {فَمَا وَهَنُوا} فيه قولان.

أحدهما: أنه الضعف، قاله ابن عباس، وابن قتيبة.
والثاني: أنه العجز، قاله قتادة.

قال ابن قتيبة: والاستكانة الخشوع والذل، ومنه أخذ المسكين وفي معنى الكلام قولان.

أحدهما: فما وهنوا بالخوف، وما ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا بالخضوع.
والثاني: فما وهنوا لقتل نبيهم، ولا ضعفوا عن عدوهم، ولا استكانوا لما أصابهم.

{وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا عُفِّرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ} يعني الربيين. {إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا عُفِّرْ لَنَا} أي: لم يكن قولهم غير الاستغفار. والإسراف: مجاوزة الحد، وقيل: أريد بالذنوب الصغائر، وبالإسراف: الكبائر.

قوله تعالى: {وَوَثَّبَتْ أَقْدَامَنَا} قال ابن عباس على القتال وقال الزجاج معناه ثبتنا على دينك فإن الثابت على دينه ثابت في حربه.

{فَاتَّهَمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

قوله تعالى: {فَاتَّهَمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا} فيه قولان.
أحدهما: أنه النصر، قاله قتادة.

والثاني: الغنيمة. قاله ابن جريج، وروي عن ابن عباس أنه قال: النصر والغنيمة.
وفي حسن ثواب الآخرة قولان.

أحدهما: أنه الجنة.

والثاني: الأجر والمغفرة، وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين، ما يفعلون ويقولون عند لقاء العدو.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا} قال ابن عباس: نزلت في قول ابن أبي للمسلمين، كما رجعوا من أحد: لو كان نبيا ما أصابه الذي أصابه وفي الذين كفروا هاهنا ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم المنافقون، على قول ابن عباس ومقاتل.
والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن جريج.

والثالث: أنهم عبدة الأوثان، قاله السدي. قالوا وكانوا قد أمروا المسلمين بالرجوع عن دينهم. ومعنى {يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ} يصرّفوكم إلى الشرك {فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} بالعقوبة.

{بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}

قوله تعالى: {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ} أي: وليكم ينصركم عليهم، فاستغنوا عن موالاة الكفار.

{سَبَّلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا أَهْمُ النَّارَ وَبِئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ}

قوله تعالى: {سَبَّلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ} قال السدي: لما ارتحل المشركون يوم أحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق، وقالوا: قتلتموهم حتى إذا لم يبق الا الشردمة، تركتموهم؟ ارجعوا فاستأصلوهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلت هذه الآية. والإلقاء: القذف. والرعب: الخوف. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة «الرعب» ساكنة العين، خفيفة، وقرأ ابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وأبو جعفر، مضمومة العين، مثقله، أين وقعت. والسلطان هاهنا: الحجة في قول الجماعة. والماوى: المكان الذي يؤوى إليه. والمثوى: المقام. والثوى: الإقامة. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأَيْدِيهِ حَتَّى إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ} قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أحد، قال قوم منهم: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فنزلت هذه الآية. وقال المفسرون: وعد الله تعالى المؤمنين النصر بأحد، فنصرهم فلما خالفوا، وطلبوا الغنيمة، هزموا. وقال ابن عباس: ما نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في موطن ما نصر في أحد، فأبكر ذلك عليه، فقال: بيني وبينكم كتاب الله، إن الله يقول: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأَيْدِيهِ} فأما الحس، فهو القتل، قاله ابن عباس، والحسن، و مجاهد، والسدي، والجماعة، وقال ابن قتبية: تحسونهم، أي: تستأصلونهم بالقتل، يقال: سنة حسوس: إذا أتت على كل شيء، وجراد محسوس: إذا قتله البرد.

وفي قوله تعالى {بِأَيْدِيهِ} ثلاثة أقوال.

أحدها: بأمره، قاله ابن عباس.

والثاني: بعلمه، قاله الزجاج.

والثالث: بقضائه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُشِلْتُمْ} قال الزجاج: أي: جبنتم {وَتَنَزَّعْتُمْ} أي: اختلفتم {مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ} يعني: النصره وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير معناه حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتكم وعصيتم وهذه الواو زائدة كقوله تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَتَدَيَّتُهُ} [الصفات: 103]. معناه

نادينا. فأما تنازعهم، فإن بعض الرماة قال: قد انهزم المشركون فما يمنعنا من الغنيمة، وقال بعضهم: بل ثبت مكاننا كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فترك المركز بعضهم، وطلب الغنيمة، وتركوا مكانهم فذلك عصيانهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، قد أوصاهم لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم.

قوله تعالى: { مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا } قال المفسرون:

هم الذين طلبوا الغنيمة وتركوا مكانهم { وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ } وهم الذين ثبتوا، وقال ابن مسعود ما كنت أظن أحدا من أصحاب محمد يريد الدنيا. حتى نزلت هذه الآية.

قوله تعالى: { صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ } أي: ردكم عن المشركين بقتلكم، وهزيمتكم. { لِيَبْتَلِيَكُمْ } أي: ليختبركم، فيبين الصابر من الجازع.

قوله تعالى: { وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ } فيه قولان:

أحدهما: عفا عن عقوبتكم، قاله ابن عباس.

والثاني: عفا عن استئصالكم، قاله الحسن. وكان يقول: هؤلاء مع رسول الله، في سبيل الله غضاب لله، يقاتلون في سبيل الله نهوا عن شيء فضيعوه، فما تركوا حتى غموا بهذا الغم، والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويزعم أن لا بأس عليه فسوف يعلم.

قوله تعالى: { وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } فيه قولان.

أحدهما: إذ عفا عنهم، قاله ابن عباس.

والثاني: إذ لم يقتلوا جميعا، قاله مقاتل.

{ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّيْسُولُ بِدَعْوِكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ } وَتَلْوُونَ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: { إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ } قال المفسرون: إذ متعلقة بقوله تعالى:

{ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ } وأكثر القراء على ضم التاء، وكسر العين من قوله:

{ تُصْعِدُونَ } وهو من الإصعاد، وروى أبان عن ثعلب عن عاصم، فتحها، وهي

قراءة الحسن، و مجاهد وهو من الصعود. قال الفراء: الإصعاد في ابتداء

الأسفار، والمخارج. تقول: أصعدنا من بغداد إلى خراسان، فإذا صعدت على

سلم، أو درجة قلت صعدت، ولا تقول أصعدت وقال الزجاج: كل من ابتدأ

مسيرا من مكان فقد أصعد، فأما الصعود فهو من أسفل إلى فوق، ومن فتح

التاء، ومعين أراد الصعود في الجبل، وللمفسرين في معنى الآية. قولان:

أحدهما: أنه صعودهم في الجبل، قاله ابن عباس، و مجاهد.

والثاني: أنه الإبعاد في الهزيمة قاله قتادة، و ابن قتيبة و { تَلْوُونَ } بمعنى:

تعرجون.

وقوله تعالى: {عَلَىٰ أَحَدٍ} عام وقد روي عن ابن عباس أنه أريد به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: والنبي صلى الله عليه وسلم، يناديهم من خلفهم: إلى عباد الله أنا رسول الله وقرأت عائشة، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء، وحميد، على أحد بضم الألف والهاء يعنون الجبل.
قوله تعالى: {فَأَتَبَكَّمْ} أي: جازاكم. قال الفراء: الإثابة هاهنا: بمعنى: عقاب ولكنه كما قال الشاعر:
أخاف زيادا أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا

المحدرجة: السياط. والسود. فيما يقال: القيود.
قوله تعالى {عَمَّا يَغْمُّ} في هذه الباء أربعة أقوال.
أحدها: أنها بمعنى مع.

والثاني: بمعنى بعد.

و الثالث: بمعنى: على فعلى هذه الثلاثة الاقوال يتعلق الغمان بالصحابة، وللمفسرين في المراد بهذين الغمين، خمسة أقوال.
أحدها: أن الغم الأول ما أصابهم من الهزيمة والقتل، والثاني: إشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم، قاله ابن عباس، و مقاتل.
والثاني: أن الأول فرارهم الأول، والثاني: فرارهم حين سمعوا أن محمد قد قتل، قاله مجاهد.

والثالث: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة، وأصابهم من القتل، والجراح. والثاني: حين سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم، قد قتل قاله قتادة.
والرابع: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة، والفتح. والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، قاله السدي.

والخامس: أن الأول إشراف خالد بن الوليد عليهم. والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم ذكره الثعلبي.

والقول الرابع: أن الباء بمعنى: الجزاء، فتقديره غمكم كما غمتم، غيركم فيكون أحد الغمين للصحابة، وهو أحد غمومهم التي ذكرناها عن المفسرين، ويكون الغم الذي جوزوا لأجله لغيرهم، وفي المراد بغيرهم قولان.
أحدهما: أنهم المشركون غمومهم يوم بدر، قاله الحسن.

والثاني: أنه النبي صلى الله عليه وسلم، غمومهم حيث خالفوه فجوزوا على ذلك بأن غموا بما أصابهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى {لَكَيْلًا تَحَزَّبُوا} في لا قولان:

أحدهما: أنها باقية على أصلها، ومعناها: النفي فعلى هذا في معنى الكلام قولان.

أحدهما: فأثابكم غما أنساكم الحزن على ما فاتكم، وما أصابكم، وقد روي أنهم لما سمعوا أن النبي قد قتل نسوا ما أصابهم، وما فاتهم.

والثاني: أنه متصل بقوله {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} فمعنى الكلام عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم، وأصابكم لأن عفوه يذهب كل غم.

والقول الثاني: أنها صلة، ومعنى الكلام: لكي تحزنوا على ما فاتكم، وأصابكم عقوبة لكم في خلافكم ومثها قوله تعالى: {لَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ لِكِتَابٍ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن قَضَلِ اللَّهِ} الحديد: 29. أي: ليعلم هذا قول المفضل، قال ابن عباس: والذي فاتهم الغنيمة، والذي أصابهم القتل والهزيمة.

{ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ لَيْلِ اللَّيْلِ نَعَاسًا يَعْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ لِحَقِّ ظَنِّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِلَى مَصَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}

قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ لَيْلِ اللَّيْلِ نَعَاسًا يَعْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ} قال ابن قتيبة: الأمانة: الأمن. يقال: وقعت الأمانة في الأرض. وقال الزجاج: معنى الآية: أعقبكم بما نالكم من الرعب أن أمنكم أمانة تامون معه، لأن الشديد الخوف لا يكاد ينام. و«نعاسا» منصوب على البدل من «أمانة» يقال: نعس الرجل ينعس نعاسا، فهو ناعس. وبعضهم يقول نعسان قال الفراء: قد سمعتها، ولكني لا أشتيها. قال العلماء: النعاس: أخف النوم. وفي وجه الامتتان عليهم بالنعاس قولان.

أحدهما: أنه أمنهم بعد خوفهم حتى ناموا، فالمنة بزوال الخوف، لأن الخائف لا ينام والثاني: قواهم بالاستراحة على القتال.

قوله تعالى: {يَعْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر «يعشى» بالياء مع التفخيم، وهو يعود إلى النعاس. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تغشى» بالتاء مع الإمالة، وهو يرجع إلى الأمانة. فأما الطائفة التي غشيها النوم، فهم المؤمنون، والطائفة الذين أهتمهم انفسهم: المنافقون، أهمهم خلاص انفسهم، فذهب النوم عنهم. قال أبو طلحة: كان السيف يسقط من يدي، ثم أخذه، ثم يسقط، وأخذه من النعاس. وجعلت انظر، وما منهم أحد يومئذ إلا يمد تحت حافته من النعاس. وقال الزبير: ارسل الله علينا النوم، فما منا رجل إلا ذقنه في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: {لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا}، فحفظتها منه. قوله تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ لِحَقِّ} فيه أربعة أقوال.

أحدها: أنهم ظنوا أن الله لا ينصر محمدا وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنهم كذبوا بالقدر، رواه الضحاك، عن ابن عباس.
والثالث: أنهم ظنوا أن محمداً قد قتل، قاله مقاتل.
والرابع: ظنوا أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم مضمحل، قاله الزجاج.
قوله تعالى: {ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ} قال ابن عباس: أي: كظن الجاهلية.
قوله تعالى: {يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ} لفظه الاستفهام،
ومعناه: الجحد، تقديره: ما لنا من الأمر من شيء. قال الحسن: قالوا: لو كان
الأمر إلينا ما خرجنا، وإنما أخرجنا كرها. وقال غيره: المراد بالأمر: النصر
والظفر، قالوا: إنما النصر للمشركين {قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ} أي: النصر، والظفر،
والقضاء، والقدر {لِلَّهِ}. والاكثرون قرؤوا {إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ} بنصب اللام،
وقرأ أبو عمرو برفعها، قال أبو علي: حجة من نصب، أن «كله» بمنزلة
«أجمعين» في الإحاطة والعموم، فلو قال: إن الأمر أجمع، لم يكن إلا النصب،
و«كله» بمنزلة «أجمعين» ومن رفع، فلأنه قد ابتدأ به، كما ابتدأ بقوله تعالى:
{وَكُلُّهُمْ آتِيَةٌ}.

قوله تعالى {يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ} في الذي أخفوه ثلاثة أقوال.
أحدها: أنه قولهم: {لَوْ كُنَّا * فِي * بُيُوتِنَا مَا قُتِلْنَا هَهُنَا}.

والثاني: أنه إسرارهم الكفر، والشك في أمر الله.

والثالث: الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد.

قال أبو سليمان الدمشقي. والذي قال: {هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ} عبد الله
ابن أبي. والذي قال: {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ} معتب بن قشير.
قوله تعالى {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ} أي: لو تخلفتكم، لخرج منكم من كتب
عليه القتل، ولم ينجه القعود. والمضاجع: المصارع بالقتل. قال الزجاج: ومعنى
{بَرَزُوا} {صَارُوا إِلَى بَرَاةٍ} وهو المكان المنكشف، ومعنى {وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي
صُدُورِكُمْ} أي: ليختبره بأعمالكم، لأنه قد علمه غيباً، فيعلمه شهادة.

قوله تعالى: {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ * مَا فِي قُلُوبِكُمْ} قال قتادة: أراد ليظهرها من
الشك والارتياب، بما يريكم من عجائب صنعه من الأمانة، وإظهار سرائر
المنافقين. وهذا التمحيص خاص للمؤمنين. وقال غيره أراد بالتمحيص: إبانة ما
في القلوب من الاعتقاد لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين.
قوله تعالى {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أي: بما فيها. وقال ابن الأنباري:
معناه: عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات، فتأنيث ذات بمعنى
الحقيقة، كما تقول العرب: لقيته ذات يوم. فيؤنثون لأن مقصدهم: لقيته مرة
في يوم.

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ لُحْيَانَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ} قال ابن الأنباري:
معناه: عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات، فتأنيث ذات بمعنى
الحقيقة، كما تقول العرب: لقيته ذات يوم. فيؤنثون لأن مقصدهم: لقيته مرة
في يوم.

قوله تعالى: { إِنَّ لِّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ لُتْقَى لُجَمَعَانَ } الخطاب للمؤمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو. والجمعان: جمع المؤمنين، وجمع المشركين، وذلك يوم أحد. واستزلهم: طلب زللهم، قال ابن قتبية: هو كما تقول: استعجلت فلانا، أي: طلبت عجلته، واستعملته: طلبت عمله. والذي كسبوا: يريد به الذنوب. وفي سبب فرارهم يؤمذ قولان.

أحدها: أنهم سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل، فترخصوا في الفرار، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أن الشيطان أذكرهم خطاياهم، فكرهوا لقاء الله إلا على حال يرضونها قاله الزجاج.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا } أي: كالمنافقين الذين قالوا لإخوانهم في النفاق، وقيل: إخوانهم في النسب. قال الزجاج: وإنما قال: «إذا ضربوا» ولم يقل: إذ ضربوا، لأنه يريد: شأنهم هذا أبدا، تقول: فلان إذا حدث صدق، وإذا ضرب صبر. و«إذا» لما يستقبل، إلا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا لما قد خبر منه فيما مضى. قال المفسرون: ومعنى { ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ } ساروا وسافروا. و«غزى» جمع غازي. وفي الكلام محذوف تقديره: إذا ضربوا في الأرض، فماتوا، أو غزوا، فقتلوا. قوله تعالى { لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ } قال ابن عباس: ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم، سلموا، { حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ } أي: حزنا. قال ابن فارس: الحسرة: التلهف على الشيء الفاتت.

قوله تعالى: { وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ } أي: ليس تحرز الانسان يمنعه من أجله. قوله تعالى: { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: يعملون بالياء، وقرأ الباقر بالباء. قال أبو علي: حجة من قرأ بالياء أن قبلها غيبة، وهو قوله تعالى: { وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ }، ومن قرأ بالباء، فحجته { لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا }.

{ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ حَیْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }

قوله تعالى: { وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ } اللام في «لئن» لام القسم، تقديره: والله لئن قتلتم في الجهاد { أَوْ مُتُّمْ } في إقامتكم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مت» و«متم» و«متنا» برفع الميم في جميع القرآن، وروى حفص عن عاصم: { أَوْ مُتُّمْ } { وَلَئِنْ مُتُّمْ } برفع الميم في هذين دون باقي القرآن. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي كل ما في القرآن بالكسر.

قوله تعالى: {لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} أي: من أعراض الدنيا التي تتركون الجهاد لجمعها. وقرأ حفص عن عاصم: يجمعون بالياء، ومعناه: خير مما يجمع غيركم مما تركوا الجهاد لجمعه. قال ابن عباس: خير مما يجمع المنافقون في الدنيا.

{وَلَيْنٌ مِّنكُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَأَلِيَّ اللَّهُ تُحْشِرُونَ}

قوله تعالى: {وَلَيْنٌ مِّنكُمْ} أي: في إقامتكم. {أَوْ قُتِلْتُمْ} في جهادكم. {لَأَلِيَّ اللَّهُ تُحْشِرُونَ} وهذا تخويف من القيامة. والحشر: الجمع مع سوق. {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا لَّقَلْبٌ لَّاتَّقِصُوا مِن حَوْلِكَ وَوَعَفُ عَنَّهُمْ وَبِتَّغْفِرَ لَهُمْ وَشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}

قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ} قال الفراء وابن قتيبة، والزجاج «ما» هاهنا صلة، ومثله: {فَبِمَا تَقْضِيهِمْ مِّتَقَّهِمْ} قال ابن الأنباري: دخول «ما» هاهنا يحدث توكيدا. قال النابغة:

المرء يهوى أن يعي ش وطول عيش ما يضره

فأكد بذكر «ما» وفيمن تتعلق به هذه الرحمة قولان. أحدهما: أنها تتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: بالمؤمنين. قال قتادة: ومعنى {لَئِن لَّهُمْ} لأن جانبك، وحسن خلقك، وكثر احتمالك. قال الزجاج: والفظ: الغليظ الجانب، السيء الخلق، يقال: فظظت تفظ فظاظة وفظظا، والفظ: ماء الكرش والفرث، وإنما سمي فظا لغلظ مشربه. فأما الغليظ القلب، فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكر الفظاظة والغلظ - وإن كانا بمعنى واحد- توكيدا. وقال ابن عباس: الفظ: في القول، والغليظ القلب: في الفعل.

قوله تعالى: {لَآتَقِصُّوا} أي: تفرقوا. وتقول: فضضت عن الكتاب ختمه: إذا فرقتة عنه. {وَوَعَفُ عَنَّهُمْ} أي: تجاوز عن هفواتهم، وسل الله المغفرة لذنوبهم {وَشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ} معناه: استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم. ويقال: إنه من: شرت العسل. وأنشدوا:

وقاسمها بالله حقا لأنتم أذ من السلوى إذا ما نشورها

قال الزجاج: يقال: شاورت الرجل مشاورة وشورا، وما يكون عن ذلك اسمه المشورة. وبعضهم يقول: المشورة. ويقال: فلان حسن الصورة والشورة، أي: حسن الهيئة واللباس. ومعنى قولهم: شاورت فلانا، أظهرت ما عنده وما عندي.

وشرت الدابة: إذا امتحنتها، فعرفت هيئتها في سيرها. وشرت العسل: إذا أخذته من مواضع النحل. وعسل مشار. قال الأعشى:
كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشارا

والأرى:

العسل. واختلف العلماء لأي معنى أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي، تام التدبير، على ثلاثة أقوال.

أحدها: ليستن به من بعده، وهذا قول الحسن، وسفيان بن عيينة.

والثاني: لتطيب قلوبهم، وهو قول قتادة، والربيع، وابن إسحاق. ومقاتل. قال الشافعي رضي الله عنه: نظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم «البكر تستأمر في نفسها»، إنما أراد استطابة نفسها، فانها لو كرهت، كان للآب أن يزوجه، وكذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أمر بذبحه.

والثالث: للاعلام ببركة المشاورة، وهو قول الضحاك. ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره. علم أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يلم نفسه، ومنها أنه قد يعزم على أمر، فيبين له الصواب في قول غيره، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح. قال علي رضي الله عنه: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم. وقال بعض الحكماء: ما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا حصنت النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر. واعلم أنه إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما لم يأت فيه وحي، وعمهم بالذكر، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم. وفي الذي أمر بمشاورتهم فيه قولان: حكاها القاضي أبو يعلى.

أحدهما: أنه أمر الدنيا خاصة.

والثاني: أمر الدين والدنيا، وهو أصح.

وقد قرأ ابن مسعود، و ابن عباس «وشاورهم في بعض الأمر».

قوله تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ} قال ابن فارس: العزم: عقد القلب على الشيء ويريد أن يفعله. وقد قرأ أبو رزين، و أبو مجلز، و أبو العالية، وعكرمة، والجحدري: {فَإِذَا عَزَمْتَ} بضم التاء. فأما التوكل، فقد سبق شرحه.

ومعنى الكلام: فإذا عزمتم على فعل شيء، فتوكل على الله، لا على المشاورة.

{ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }

قوله تعالى: { إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ } قال ابن فارس: النصر: العون، والخذلان: ترك العون. وقيل: الكناية في قوله { مِنْ بَعْدِهِ } تعود إلى خذلانه.

{ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مَمَّا عَلَّ يَوْمَ لُقَيْمَةَ ثُمَّ تُوَفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }

قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مَمَّا عَلَّ } في سبب نزولها سبعة أقوال. أحدها: أن قطيفة من المغنم فقدت يوم بدر، فقال ناس: لعل النبي صلى الله عليه وسلم أخذها، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أن رجلا غل من غنائم هوازن يوم حنين، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن قوما من أشرف الناس طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية، نقل عن ابن عباس أيضا.

والرابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث طلائعا، فغنم النبي صلى الله عليه وسلم غنيمة، ولم يقسم للطلائع، فقالوا: قسم الفيء ولم يقسم لنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك.

والخامس: أن قوما غلوا يوم بدر، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والسادس: أنها نزلت في الذين تركوا مركزهم يوم أحد طلبا للغنيمة، وقالوا: نخاف أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من أخذ شيئا، فهو له» فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا؟ أظننتم أنا نغل؟» فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب، ومقاتل.

والسابع: أنها نزلت في غلول الوحي، قاله القرظي، وابن اسحاق. وذكر بعض المفسرين أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عيب دينهم وآلهتهم، فسألوه أن يطوي ذلك، فنزلت هذه الآية.

واختلف القراء في «يغل» فقرا ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الياء وضم الغين، ومعناها: يخون. وفي هذه الخيانة قولان. أحدهما: خيانة المال على قول الأكثرين.

والثاني: خيانة الوحي الوجب على قول القرظي، وابن اسحاق. وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الغين، ولها وجهان.

أحدهما: أن يكون المعنى يخان، ويجوز أن يكون: يلفى خائنا، يقال: أغللت فلانا، أي: وجدته غالا، كما يقال: أحمقته: وجدته أحمق، وأحمدته: وجدته محمودا قاله الحسن، وابن قتيبة.

والثاني: يخون، قاله الفراء، وأجازة الزجاج، ورده ابن قتيبة، فقال: لو أراد: يخون، لقال: يغلل، كما يقال: يفسق، ويخون، ويفجر.

وقيل «اللام» في قوله «لنبي» منقولة، ومعنى الآية: وما كان النبي ليغل، ومثله: { مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ } [مريم: 36] أي: ما كان الله ليتخذ ولدا.

وهذه الآية من اللفظ التعريض، إذ قد ثبتت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم، من الغلول فدل على أن الغلول في غيره. ومثله: { وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [سبأ: 25] وقد ذكر عن السدي نحو هذا. قوله تعالى: { وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } الغلول: أخذ شيء من المغنم خفية، ومنه الغلالة، وهي ثوب يلبس تحت الثياب، والغلل: وهو الماء الذي يجري بين الشجر، والغل: وهو الحقد الكامن في الصدر، وأصل الباب الاختفاء. وفي إتيانه بما غل ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه يأتي بما غله، يحمله، ويدل عليه ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فذكر الغلول، فعظمه، وعظم أمره، ثم قال «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثنى، فاقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حممة، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فاقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته لها ثغاء، يقول: يا رسول الله أغثنى، فاقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فاقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاغ تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فاقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فاقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك». الرغاء: صوت البعير، والثغاء: صوت الشاة، والنفس: ما يغل من السبي، والرقاع: الثياب. والصامت: المال. والقول الثاني: أنه يأتي حاملاً إثم ما غل.

والثالث: أنه يرد عوض ما غل من حسناته، والقول الأول أصح لمكان الأثر الصحيح.

قوله تعالى: { تَمَّ تَوْفِي كُلِّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ } أي: تعطى جزاء ما كسبت. { أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُنْسَىٰ لِمَصِيرٍ } قوله تعالى: { أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ } اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين. أحدهما: أن معناها: أفمن اتبع رضوان الله، فلم يغل، { كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ } حين غل؟ هذا قول سعيد بن جبیر، والضحاك، والجمهور. والثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه يوم أحد، اتبعه المؤمنون، وتخلف جماعة من المنافقين، فأخبر الله بحال من تبعه، ومن تخلف عنه، هذا قول الزجاج.

{ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ }

قوله تعالى: { هُمْ دَرَجَاتٌ } قال الزجاج: معناه: هم ذوو درجات. وفي معنى درجات قولان.

أحدهما: أنها درجات الجنة، قاله الحسن.

والثاني: أنها فضائلهم، فبعضهم أفضل من بعض، قاله الفراء، وابن قتيبة.

وفيمعنى عنى بهذا الكلام قولان.

أحدهما: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باؤوا بسخط من الله، فلمن اتبع رضوان الله الثواب، ولمن باء بسخطه العذاب، هذا قول ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله فقط، فانهم يتفاوتون في المنازل، هذا قول سعيد بن جبير، وأبي صالح، ومقاتل.

{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } قوله تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } أي: أنعم عليهم، و«أنفسهم»

جماعتهم، وقيل: نسبهم. وقرأ الضحاك، وأبو الجوزاء: { مِّنْ أَنفُسِهِمْ } بفتح الفاء. وفي وجه الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال.

أحدها: لكونه معروف النسب فيهم، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: لكونهم قد خبروا أمره، وعلموا صدقه، قاله الزجاج.

والثالث: ليسهل عليهم التعلم منه، لموافقة لسانه للسانهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والرابع: لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم، قاله الماوردي.

وهل هذه الآية خاصة أم عامة؟ فيه قولان.

أحدهما: أنها خاصة للعرب، روي عن عائشة والجمهور.

والثاني: أنها عامة لسائر المؤمنين، فيكون المعنى أنه ليس بملك، ولا من غير بني آدم، وهذا اختيار الزجاج. وقد سبق في { البقرة } بيان باقي الآية.

{ أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } قوله تعالى: { أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ } قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لما كان يوم أحد عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكسرت ربايعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فنزلت هذه الآية إلى قوله تعالى

{ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ } قال بأخذكم الفداء.

قوله تعالى: { أَوْ لَمَّا } قال الزجاج: هذه واو النسق، دخلت عليها ألف

الاستفهام، فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا فيقول المجيب: له أو هو ممن يقول ذلك؟ فأما «المصيبة» فما

أصابهم يوم أحد، وكانوا قد أصابوا مثلها من المشركين يوم بدر، لانهم قتل

منهم سبعون، فقتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، وهذا قول ابن عباس، و الضحاك، وقتادة، والجماعة، إلا أن الزجاج قال: قد أصبتم يوم أحدها مثلها ويوم بدر مثلها، فجعل المثلين في اليومين.

قوله تعالى: { أَتَى هَذَا } قال ابن عباس: من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون. قوله تعالى: { قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أن معناه: بأخذكم الفداء يوم بدر، قاله عمر بن الخطاب. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك من أخذهم الفداء، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يضربوا أعناق الأسارى، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر ذلك للناس فقالوا: عشائرننا وإخواننا، بل نأخذ منهم الفداء، ويستشهد منا عدتهم، فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى بدر فعلى هذا يكون المعنى: قل هو بأخذكم الفداء واختياركم القتل لأنفسكم.

والثاني: أنه جرى ذلك بمعصية الرماة يوم أحد، وتركهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس، ومقاتل في آخرين.

والثالث: أنه بمخالفتهم الرسول في الخروج من المدينة يوم أحد، فانه أمرهم بالتحصن فيها، فقالوا: بل نخرج قاله قتادة، والربيع. قال مقاتل: إن الله على كل شيء من النصر والهزيمة قدير.

{ وَمَا أَصَبَكُمْ يَوْمَ لَيْلِي لَجَمْعَانِ قِيَادِنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ تَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اقْعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ }

قوله تعالى: { وَمَا أَصَبَكُمْ يَوْمَ لَيْلِي لَجَمْعَانِ } الجمعان: النبي وأصحابه، و أبو سفيان وأصحابه، وذلك في يوم أحد، وقد سبق ذكر ما أصابهم.

قوله تعالى: { قِيَادِنِ اللَّهِ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: { أَمْرُهُ }. والثاني: قضاؤه روي عن ابن عباس. والثالث: علمه قاله الزجاج.

قوله تعالى: { وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ } أي: ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم، ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم، وقلة صبرهم قال ابن قتيبة، والنفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو حجر من جحرتة يخرج منه إذا أخذ عليه الحجر الذي دخل فيه. قال الزيادي عن الأصمعي: ولليربوع أربعة أوجه، النافق: وهو الذي يخرج منه كثيرا، ويدخل منه كثيرا، والقاصعاء، سمي بذلك لأنه يخرج تراب الحجر، ثم يقصع ببعضه كأنه يسد به فم الحجر، ومنه يقال: جرح فلان قد قصع بالدم: إذا امتلأ ولم يسئل، والداماء سمي بذلك، لأنه يخرج التراب من فم الحجر، ثم يدم به فم الحجر، كأنه يطليه به ومنه يقال ادمم قدرك بشحم، أي

اطلها به. والراهطاء ولم يذكر اشتقاقه، وإنما يتخذ هذه الجحر عددا فإذا أخذ عليه بعضها خرج من بعض. قال أبو زيد: فشبه المنافق به لأنه يدخل في الإسلام، بلفظه ويخرج منه بعقدة، كما يدخل اليربوع من باب، ويخرج من باب. قال ابن قتيبة: والنفاق لفظ إسلامي، لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام قال ابن عباس: والمراد بالذين نافقوا عبد الله بن أبي وأصحابه، قال موسى بن عقبة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم، يوم أحد ومعه المسلمون، وهم ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف، فرجع عنه ابن أبي في ثلاثمئة فأما القتال، فمباشرة الحرب، وفي المراد بالدفع ثلاثة أقوال. أحدها: أنه التكثر بالعدد، رواه مجاهد عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وابن جريح في آخرين. والثاني: أن معناه: ادفعوا عن أنفسكم، وحرىمكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس وهو قول مقاتل.

والثالث: أنه بمعنى، القتال أيضا قاله ابن زيد. قوله تعالى: {لَوْ تَعَلَّمُ قِتَالًا} فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أن معناه لو تعلم أن اليوم يجري قتال ما أسلمناكم، ذكره ابن اسحاق. والثاني: لو كنا نحسن القتال لاتبعناكم.

والثالث: إنما معناه أن هناك قتلا، وليس بقتال، ذكرهما الماوردي. قوله تعالى: {هُم لِّلْكَفْرِ} أي: إلى الكفر {أَقْرَبُ مِنْهُمُ لِلْإِيْمَانِ} أي: إلى الإيمان وإنما قال: يومئذ لأنهم فيما قبل لم يظهروا مثل ما أظهروا، فكانوا بظاهر حالهم فيما قبل أقرب إلى الإيمان. قوله تعالى: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} فيه وجهان. ذكرهما المارودي.

أحدهما: ينطقون بالإيمان، وليس في قلوبهم إلا الكفر. والثاني: يقولون نحن أنصار، وهم أعداء، وذكر في الذي يكتمون وجهين. أحدهما: أنه النفاق والثاني العداوة.

{لَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

قوله تعالى: {لَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ} قال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن أبي وفي إخوانهم قولان.

أحدهما: أنهم إخوانهم في النفاق، قاله ابن عباس. والثاني: إخوانهم في النسب، قاله مقاتل. فعلى الأول يكون المعنى: قالوا لإخوانهم المنافقين: لو أطاعنا الذين قتلوا مع محمد ما قتلوا، وعلى الثاني يكون المعنى: قالوا عن إخوانهم الذين استشهدوا بأحد: لو أطاعونا ما قتلوا. قوله تعالى: {وَقَعَدُوا} يعني القائلين قعدوا عن الجهاد.

قوله تعالى: { فادروا } أي فادفعوا { فادروا } عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ { أَنْ إِحْذَرُوا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْقَدْرِ. **{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَرِّقُونَ }**

قوله تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا } قرأ ابن عامر: قتلوا بالتشديد واختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها نزلت في شهداء أحد، روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم، وحسن مقيلمهم، قالوا: ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهّدوا في الجهاد؛ ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وهذا قول سعيد بن جبير، وأبي الضحى.

والثاني: أنها نزلت في شهداء بدر لما أفضوا إلى كرامة الله تعالى وقالوا: ربنا أعلم إخواننا فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول مقاتل.

والثالث: أنها نزلت في شهداء بئر معونة. روى محمد بن إسحاق عن أشياخ له، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين إلى أهل نجد، فلما نزلوا بئر معونة، خرج حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم ينظر فيه عامر، وخرج رجل من كسر البيت برمح، فضرب به في جنب حرام حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، وقتل سائر أصحابه غير واحد منهم، قال أنس بن مالك: فأنزل الله تعالى فيهم: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه» ثم رفعت فنزلت هذه الآية: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا }.

فهذا اختلاف الناس فيمن نزلت واختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال. أحدها: أن الشهداء بعد استشهادهم سألوا الله أن يخبر إخوانهم بمصيرهم، وقد ذكرناه عن ابن عباس.

والثاني: أن رجلاً قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين استشهدوا، فنزلت قاله مقاتل.

والثالث: أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة، أو سرور تحسروا، وقالوا نحن في النعمة والسرور، وآبائنا وأبنائنا وإخواننا. في القبور، فنزلت هذه الآية. ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

فأما التفسير، فمعنى الآية: لا تحسبنهم أمواتاً كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله، وقد بينا هذا المعنى في {البقرة} وذكرنا أن معنى حياتهم: أن

أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها. قال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة.

{ قَرِحِينَ يَمَاءَ آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }

قوله تعالى: { قَرِحِينَ } قال ابن قتيبة: الفرح: المسرة، فأما الذي آتاهم الله، فما نالوا من كرامة الله ورزقه والاستبشار: السرور بالبشارة { بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ } إخوانهم من المسلمين، وفي سبب استبشارهم بهم ثلاثة أقوال.

أحدها: أن الله تعالى ما أخبر بكرامة الشهداء، أخبر الشهداء بأني قد أنزلت على نبيكم، وأخبرته بأمركم، فاستبشروا، وعلموا أن إخوانهم سيحرصون على الشهادة، قاله سعيد بن جبير.

والثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة، يقولون: إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل قاله قتادة.

والثالث: أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه و أهله، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر بقدمه، كما يستبشر أهل الغائب به، هذا قول السدي و «الهاء» والميم في قوله تعالى: { أَنْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } تعود إلى الذين لم يلحقوا بهم. قال الفراء معناه يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم، ولا حزن. وفي ماذا يرتفع الخوف والحزن عنهم فيه قولان. أحدهما: لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم.

والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة.

{ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: { يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ } قال مقاتل: برحمة و رزق.

قوله تعالى: { وَأَنَّ اللَّهَ } قرأ الجمهور بالفتح على معنى: ويستبشرون بأن الله، وقرأ الكسائي بالكسر على الاستئناف.

{ الَّذِينَ سَتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ لِقْرَحٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَتَقَوُا أَجْرَ عَظِيمٍ }

قوله تعالى: { الَّذِينَ سَتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } في سبب نزولها قولان. أحدهما: أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد ندب النبي صلى الله عليه وسلم، أصحابه لاتباعهم ثم خرج بمن انتدب معه، فلقى أبو سفيان قوما فقال: إن لقيتم محمدا فأخبروه اني في جمع كثير، فلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم،

فسألهم عنه فقالوا: لقيناه في جمع كثير، ونراك في قلة، فأبى إلا أن يطلبه، فسبقه أبو سفيان فدخل مكة فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس والجمهور. والثاني: أن أبا سفيان لما أراد الانصراف عن أحد، قال: يا محمد موعد بيننا وبينك موسم بدر، فلما كان العام المقبل، خرج أبو سفيان، ثم ألقى الله في قلبه الرعب، فبدأ له الرجوع، فلفي نعيم بن مسعود فقال: إني قد واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى. وهذا عام جذب لا يصلح لنا، فثبطهم عنا، وأعلمهم أنا في جمع كثير فلقبهم، فخوفهم فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم، بأصحابه حتى أقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان فنزل قوله تعالى: { لِّذِينَ سَبَّجَأُوا لِّلَّهِ وَالرَّسُولِ } الآيات وهذه المعنى: مروى عن مجاهد، وعكرمة، والاستجابة، الإجابة وأنشدوا: فلم يستجبه عند ذاك مجيب. أي: فلم يجبه.

وفي المراد النبي صلى الله عليه وسلم، وخروجه، وندب الناس للخروج ثلاثة أقوال.

أحدها: ليرهب العدو باتباعهم.

والثاني: لموعد أبي سفيان.

والثالث: لأنه بلغه عن القوم أنهم قالوا: أصبتم شوكتهم ثم تركتموهم، وقد سبق الكلام في القرع.

قوله تعالى: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ } أي: أحسنوا بطاعة الرسول واتقوا مخالفته.

{ لِّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ وَحَشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }

قوله تعالى: { لِّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ } في المراد بالناس ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم ركب لقيهم أبو سفيان، فضمن لهم ضمانا لتخويف النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، قاله ابن عباس وابن اسحاق.

والثاني: أنه نعيم بن مسعود الأشجعي، قاله مجاهد، وعكرمة، ومقاتل في آخرين.

والثالث: أنهم المنافقون لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم، يتجهمز نهوا المسلمين عن الخروج، وقالوا: إن أتيتموهم في ديارهم لم يرجع منكم أحد هذا، قول السدي.

قوله تعالى: { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ } يعني: أبا سفيان وأصحابه.

قوله تعالى: { فَرَادَهُمْ إِيْمَانًا } قال الزجاج: زادهم ذلك التخويف ثبوتا في دينهم وإقامة علي نصرته نبيهم وقالوا:

{ حَسْبُنَا اللَّهُ } أي: هو الذي يكفيننا أمرهم فأما { الْوَكِيلُ } فقال الفراء: الوكيل الكافي، واختاره ابن القاسم، وقال ابن قتيبة، هو الكفيل. قال ووكيل الرجل.

في ماله: هو الذي كفله له، وقام به وقال الخطابي: الوكيل الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم، وحقيقته أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه، وحكى ابن الأنباري أن قوما قالوا: الوكيل الرب.

{ وَ لَقَلْبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَ تَبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ }

قوله تعالى: { وَ لَقَلْبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ } الانقلاب الرجوع، وفي النعمة ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها الأجر، قاله مجاهد.

والثاني: العافية قاله السدي.

و الثالث: الإيمان والنصر، قاله الزجاج، وفي الفضل ثلاثة أقوال.

أحدها: ربح التجارة، قاله مجاهد، والسدي، وهذا قول من يرى أنهم خرجوا لموعد أبي سفيان. قال الزهري: لما استنفر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين لموعد أبي سفيان بدر. خرجوا بيضائع لهم، وقالوا: إن لقينا أبا سفيان، فهو الذي خرجنا إليه، وإن لم نلقه ابتعنا بيضائعنا، وكانت بدر متجرا يوافي كل عام، فانطلقوا فقضوا حوائجهم، واخلف أبو سفيان الموعد. والثاني: أنهم أصابوا سرية بالصفراء فرزقوا، منها قاله مقاتل.

والثالث: أنه الثواب ذكره الماوردي.

قوله تعالى: { لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ } قال ابن عباس لم يؤذهم أحد { وَ تَبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ } في طلب القوم { وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ } أي: ذو من يدفع المشركين عن المؤمنين.

{ إِنَّمَا ذُكِرَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }

قوله تعالى: { إِنَّمَا ذُكِرَ الشَّيْطَانُ } قال الزجاج: معناه: ذلك التخويف كان فعل الشيطان، سوله للمخوفين.

وفي قوله تعالى { يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } قولان.

أحدهما: أن معناه يخوفكم بأوليائه قاله الفراء واستدل بقوله تعالى { لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا } الكهف: 4 أي ببأس وبقوله تعالى { لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } [غافر: 15] أي: بيوم التلاق وقال الزجاج: معناه: يخوفكم من أوليائه، بدليل: قوله تعالى: { فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ }

وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وإبراهيم، وابن قتيبة. وأنشد ابن الأنباري في ذلك:

وايقنت التفرق يوم قالوا تقسم مال أربد بالسهم

أراد: أيقنت بالتفرق. قال: فلما أسقط الباء أعمل الفعل فيما بعدها ونصبه. قال: والذي نختاره في الآية: أن المعنى: يخوفكم أوليائه. تقول العرب: قد

أعطيت الأموال. يريدون: أعطيت القوم الأموال، فيحذفون القوم، ويقتصرون على ذكر المفعول الثاني. فهذا أشبه من ادعاء «باء» ما عليها دليل، ولا تدعوا إليها ضرورة.

والثاني: أن معناه يخوف أولياءه المنافقين المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين، قاله الحسن والسدي وذكره الزجاج. قوله تعالى { فَلَا تَخَافُوهُمْ } يعني: أولياء الشيطان { وَخَافُونَ } في ترك أمري، وفي «إن» قولان.

أحدهما: أنها بمعنى «إذ» قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنها للشرط، وهو قول الزجاج في آخرين.

{ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }

قوله تعالى: { وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ فِي الْكُفْرِ } قرأ نافع «يحزنك» «ليحزني» «وليحزن» بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن، إلا في الأنبياء { لَا يَحْزُنُهُمْ لِقَرَعُ } الأنبياء: 103 فانه فتح الياء، وضم الزاي، وقرأ الباقون كل ما في القرآن بفتح الياء، وضم الزاي قال أبو علي: يشبه أن يكون نافع تبع في سورة { الْأَنْبِيَاءِ } أثرا، أو أحب أن يأخذ بالوجهين. وفي الذين يسارعون في الكفر أربعة أقوال.

أحدها: أنهم المنافقون ورؤساء اليهود، قاله ابن عباس.

والثاني: المنافقون، قاله مجاهد.

والثالث: كفار قريش قاله الضحاك.

والرابع: قوم ارتدوا عن الإسلام ذكره الماوردي.

وقيل معنى: مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم للكفار، ونصرهم إياهم فان قيل كيف لا يحزنه المسارعة في الكفر، فالجواب لا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم.

قوله تعالى: { إِنَّهُمْ لَن يَصُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا } فيه قولان.

أحدهما: لن ينقصوا الله شيئا بكفرهم، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: لن يضروا أولياء الله شيئا، قاله عطاء، قال ابن عباس: والحظ النصيب والآخرة الجنة { وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } في النار.

{ إِنَّ الَّذِينَ تَلْتَمِسُونَ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَلْتَمِسُونَ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ } قال مجاهد: المنافقون آمنوا ثم كفروا، وقد سبق في البقرة معنى الاشتراء.

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرًا لَّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَاؤُا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ }

قوله تعالى: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ } { اختلافوا
فيمن نزلت على أربعة أقوال.

أحدها: في اليهود والنصارى، والمنافقين، قاله ابن عباس.

والثاني: في قريظة والنضير، قاله عطاء.

والثالث: في مشركي مكة قاله مقاتل.

والرابع: في كل كافر، قاله أبو سليمان الدمشقي.

وقرأ ابن كثير و أبو عمرو و نافع { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } [آل عمران: 178]

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ } آل عمران: 180 { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ * يَفْرَحُونَ

{ [آل عمران: 188] بالياء وكسر السين، ووافقهم ابن عامر غير أنه فتح

السين، وقرأهن حمزة بالتاء وقرأ عاصم، والكسائي، كل ما في هذه السورة

بالتاء غير حرفين { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ }

فانهما بالياء إلا أن عاصمًا فتح السين، وكسرها الكسائي ولم يختلفوا في { وَلَا

تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا } أنها بالتاء و { نُمَلِّى لَهُمْ } أي: نطيل لهم في العمر ومثله

{ وَ نُجْزِي مَلِيًّا } قال ابن الأنباري: واشتقاق «نملي لهم» من الملوثة وهي

المدة من الزمان يقال: ملوثة من الدهر، وملوثة، وملوثة، وملوثة، وملوثة، وملوثة،

وملاوثة، بمعنى واحد، ومنه قولهم: البس جديدًا وتمل حبيبا، أي: لتطل أيامك

معه.

قال متمم بن نويرة:

بودي لو أني تمليت عمره بمالي من مال طريف وتالد

{ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ لَعْنٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَأَمِّنُوا

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ }

قوله تعالى: { مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ } في سبب نزولها

خمسة أقوال.

أحدها: أن قريشا قالت: تزعم يا محمد أن من اتبعك فهو في الجنة، ومن

خالفك فهو في النار، فأخبرنا بمن يؤمن بك، ومن لا يؤمن. فنزلت هذه الآية.

هذا قول ابن عباس.

والثاني: أن المؤمنين سألوا أن يعطوا علامة، يفرقون بها بين المؤمن والمنافق.

فنزلت هذه الآية، هذا قول أبي العالية.

والثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: عرضت علي أمتي، وأعلمت من

يؤمن بي، ومن يكفر، فبلغ ذلك المنافقين، فاستهزؤوا، وقالوا فنحن معه ولا

يعرفنا، فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي.

والرابع: أن اليهود قالت: يا محمد قد كنتم راضين بديننا، فكيف بكم لو مات

بعضكم قبل نزول كتابكم؟ فنزلت هذه الآية. هذا قول عمر مولى غفرة.

والخامس: أن قوما من المنافقين، ادعوا أنهم في إيمانهم مثل المؤمنين، فأظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية. هذا قول أبي سليمان الدمشقي. وفي المخاطب بهذه الآية قولان.

أحدهما: أنهم الكفار والمنافقون، وهو قول ابن عباس والضحاك. والثاني: أنهم المؤمنون، فيكون المعنى: ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق قال: الثعلبي وهذا قول أكثر أهل المعاني. قوله تعالى: {حَتَّى يَمِيزَ لِحَيْثٍ مِنَ الطَّيِّبِ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر {حَتَّى يَمِيزَ} و{لِيَمِيزَ اللَّهُ لِحَيْثٍ} بفتح الياء والتخفيف وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب يميز بالتشديد وكذلك في [الأنفال: 37]، {لِيَمِيزَ اللَّهُ لِحَيْثٍ}.

قال أبو علي: مزت وميزت لغتان، قال ابن قتيبة: ومعنى: يميز يخلص فأما الطيب فهو المؤمن. وفي الخبيث قولان. أحدهما: أنه المنافق، قاله مجاهد، وابن جريج. والثاني: الكافر، قاله قتادة، والسدي، وفي الذي وقع به التمييز بينهم ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الهجرة والقتال، قاله قتادة، وهو قول من قال الخبيث الكافر. والثاني: أنه الجهاد، وهو قول من قال: هو المنافق قال: مجاهد فيميز الله يوم أحد بين المؤمنين والمنافقين، حيث أظهروا النفاق وتخلفوا. والثالث: أنه جميع الفرائض، والتكاليف فإن المؤمن مستور الحال بالإقرار، فإذا جاءت التكاليف بان أمره هذا قول الكسائي ابن كيسان. وفي المخاطب بقوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} قولان. أحدهما: أنهم كفار قريش، فمعناه: ما كان الله ليبين لكم المؤمن من الكافر، لأنهم طلبوا ذلك فقالوا أخبرنا بمن يؤمن، ومن لا يؤمن هذا قول ابن عباس. والثاني: أنه النبي صلى الله عليه وسلم فمعناه وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب قاله السدي و{يَجْتَبِي} بمعنى: يختار قاله الزجاج، وغيره فمعنى الكلام على القول الأول: أن الله لا يطلع على الغيب أحدا إلا الأنبياء، الذين اجتباهم، وعلى القول الثاني أن الله لا يطلع على الغيب أحدا، إلا أنه يجتبي من يشاء فيطلعه على ما يشاء.

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ يَلَهُ هُوَ نَبِيٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

قوله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ} اختلفوا فيمن نزلت على قولين.

أحدهما: أنها نزلت في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم، وهو قول ابن مسعود و أبي هريرة، و ابن عباس في رواية أبي صالح، والشعبي، و مجاهد، وفي رواية السدي في آخرين.

والثاني: أنها في الأخبار الذين كتموا صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ونبوته، رواه عطية عن ابن عباس، و ابن جريج، عن مجاهد، واختاره الزجاج.

قال الفراء: ومعنى الكلام: لا يحسبن الباخلون البخل هو خيرا لهم، فاكتفى بذكر «يبخلون» من البخل كما تقول قدم فلان فسررت به، أي: سررت بقدمه.

قال الشاعر:

إذا نهي السفية جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف

يريد: جرى إلى السفه. والذي آتاهم الله على قول من قال: البخل بالزكاة: هو المال وعلى قول من قال: البخل بذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم هو العلم.

قوله تعالى {هُوَ} إشارة إلى البخل وليس مذكورا، ولكنه مدلول عليه ب «يبخلون» وفي معنى تطويقهم به أربعة أقوال.

أحدها: أنه يجعل كالحية يطوق بها الإنسان، روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه، وهو يتبعه حتى يطوق في عنقه» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وهذا مذهب ابن مسعود، ومقاتل.

والثاني: أنه يجعل طوقا من نار رواه منصور عن مجاهد، و إبراهيم.

والثالث: أن معنى تطويقهم به تكليفهم أن يأتوا به، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والرابع: أن معناه يلزم أعناقهم إثمهم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} قال ابن عباس: يموت أهل السموات، وأهل الأرض ويبقى رب العالمين قال الزجاج:

خو طب القوم بما يعقلون لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراثا إذا كان ملكا له، وقال ابن الأنباري: معنى: الميراث انفراد الرجل بما كان لا ينفرد به فلما مات الخلق، وانفرد عز وجل صار ذلك له وراثه.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} قرأ ابن كثير و أبو عمرو يعملون بالياء إتباعا لقوله تعالى: {سَيُطَوَّقُونَ} وقرأ الباقر بالتاء لأن قبله {وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا}.

{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}

قوله تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ} في سبب نزولها قولان.

أحدهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت مدراس اليهود، فوجدهم قد اجتمعوا على رجل منهم، اسمه فنحاص، فقال أبو بكر: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله. فقال: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيا عنا ما. استقرض منا فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والله لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك. فذهب فنحاص يشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره أبو بكر بما قال فجدد فنحاص، فنزلت هذه الآية، ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب {وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَتْوَا لِكِتَابٍ مِّن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا} آل عمران: 186. هذا قول ابن عباس و إلى نحوه ذهب مجاهد، وعكرمة، والسدي، و مقاتل.

والثاني: أنه لما نزل قوله {مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهَ قَرَضًا} البقرة 245 قالت: اليهود إنما يستقرض الفقير من الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، و قتادة.

وفي الذين قالوا: إن الله فقير أربعة أقوال.

أحدها: أنه فنحاص بن عازوراء اليهودي قاله ابن عباس، و مقاتل.

والثاني: حبي بن أخطب قاله الحسن، و قتادة.

و الثالث: أن جماعة من اليهود، قالوه قال: مجاهد: صك أبو بكر رجلا من الذين

قالوا: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} لم يستقرضنا وهو غني؟

والرابع: أنه النباشي بن عمرو اليهودي، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: {سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا} قرأ حمزة وحده سيكتب بياء مضمومة،

وقتلهم بالرفع و يقول بالياء وقرأ الباقون {سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا} بالنون، و قتلهم

بالنصب، و نقول بالنون، وقرأ ابن مسعود، و يقال وقرأ الأعمش و طلحة و يقول.

وفي معنى: {سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا} قولان.

أحدهما: سنحفظ عليهم ما قالوا، قاله ابن عباس.

والثاني: سنأمر الحفظة بكتابه، قاله مقاتل.

قوله تعالى: {وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ} أي و نكتب ذلك فان قيل هذا القائل لم يقتل نبيا

قط فالجواب: أنه رضي بفعل متقدمه لذلك كما بينا في قوله تعالى {وَيَقْتُلُونَ

الَّذِينَ بَغَى الْحَقَّ} قال الزجاج: ومعنى: {عَذَابَ الْحَرِيقِ} عذاب محرق، أي:

عذاب بالنار لأن العذاب قد يكون بغير النار.

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ} ح

قوله تعالى: {ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْعَذَابِ، وَالَّذِي قَدَّمْتَهُ أَيْدِيهِمْ: الْكُفْرَ وَالْخَطَايَا. {لَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا إِلَّا نُوْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }

قوله تعالى: {لَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا} قال ابن عباس: نزلت في كعب ابن الأشرف، ومالك بن الصيف، وحيي بن أخطب، وجماعة من اليهود، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن الله عهد إلينا أي أمرنا في التوراة أن لا نؤمن لرسول أي لا نصدق رسولا يزعم أنه رسول، حتى يأتينا بقربان تأكله النار. قال ابن قتيبة: والقربان: ما تقرب به إلى الله تعالى من ذبح، وغيره و إنما طلبوا القربان لأنه كان من سنن الأنبياء المتقدمين، وكان نزول النار علامة القبول قال ابن عباس: كان الرجل يتصدق، فإذا قبلت منه، نزلت نار من السماء، فأكلته، وكانت نارها دوي وحفيف. وقال عطاء: كان بنو إسرائيل يذبحون لله فيأخذون أطايب اللحم، فيضعونها في وسط البيت تحت السماء، فيقوم النبي في البيت، ويناجي ربه، فتنزل نار فتأخذ ذلك القربان، فيخر النبي ساجدا فيوحي الله إليه ما يشاء قال ابن عباس: قل يا محمد لليهود {قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ} أي بالآيات {وَبِالَّذِي قُلْتُمْ مِنَ الْقُرْبَانِ}.

{قَالَ كَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَ لِكِتَابٍ لِّمُنِيرٍ }
قوله تعالى: {قَالَ كَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ} معناه: لست بأول رسول كذب قال أبو علي، وقرأ ابن عامر وحده بالبينات، والزبر بزيادة باء، وكذلك في مصاحف أهل الشام ووجهه أن إعادة الباء ضرب من التأكيد، ووجه قراءة الجمهور أن الواو قد أغنت عن تكرير العامل تقول: مررت بزيد وعمرو فتستغني عن تكرير الباء، وقال الزجاج، والزبر جمع زبور، والزبور كل كتاب ذي حكمة.

قوله تعالى: {وَ لِكِتَابٍ لِّمُنِيرٍ} قال: أبو سليمان يعني به الكتاب النيرة بالبراهين والحجج.

{كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةٌ لِّمَوْتٍ وَإِنَّمَا تُؤَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ لِقَائِكُمْ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ لَجَنَّةً فَقَدْ فَازَ وَمَا لِحَيَاتِهِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ لِّعُرُورٍ }

قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةٌ لِّمَوْتٍ} قال ابن عباس: لما نزل قوله {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة: 11]. قالوا: يا رسول الله إنما نزل في بني آدم فأين ذكر الموت في الجن، والطير، والأنعام فنزلت هذه الآية. وفي ذكر الموت تهديد للمكذبين بالمصير، وتزهيد في الدنيا، وتنبيه على اغتنام الأجل.

وفي قوله تعالى: {إِنَّمَا تُؤَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ لِقَائِكُمْ} بشارة للمحسنين، وتهديد للمسيئين.

قوله تعالى: { فَمَنْ رُزِحَ } قال ابن قتيبة نجي وأبعد { فَقَدْ فَازَ } قال الزجاج: تأويل فاز تباعد عن المكروه، ولقي ما يحب يقال لمن نجا من هلكة، ولمن لقي ما يغتبط به قد فاز.

قوله تعالى: { وَمَا لِحَيَوُهُ [الذُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ لُّغُرُورٍ } يريد: أن العيش فيها يغر الإنسان بما يمينه من طول البقاء، وسينقطع عن قريب قال: سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، فأما من يشتغل بطلب الآخرة، فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها.

{ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }

قوله تعالى: { لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ } في سبب نزولها خمسة أقوال. أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي، وعبد الله بن رواحة، فغشي المجلس عجاجة الدابة فخر ابن أبي أنفه بردائه، وقال: لا تغبروا علينا فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن أبي: إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا، فلا تؤذنا في مجالسنا، وقال ابن رواحة: اغشنا به في مجالسنا يا رسول الله فانا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون، واليهود. فنزلت هذه الآية رواه عروة عن أسامة بن زيد.

والثاني: أن المشركين، واليهود كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أشد الأذى، فنزلت هذه الآية. قاله كعب بن مالك الأنصاري. والثالث: أنها نزلت فيما جرى بين أبي بكر الصديق، وبين فنحاص اليهودي، وقد سبق ذكره عن ابن عباس.

والرابع: أنها نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم و أبي بكر الصديق، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره مقاتل، وقال عكرمة: نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق، وفنحاص اليهودي. والخامس: أنها نزلت في كعب بن الأشرف، كان يحرض المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره، وهذا مذهب الزهري.

قال الزجاج: ومعنى لتبلون لتختبرن أي توقع عليكم المحن فيعلم المؤمن حقا من غيره، و النون دخلت مؤكدة مع لام القسم، وضمت الواو لسكونها، وسكون النون وفي البلوى في الأموال قولان.

أحدهما: ذهابها ونقصانها. والثاني: ما فرض فيها من الحقوق. وفي البلوى في الأنفس أربعة أقوال.

أحدها: المصائب والقتل، والثاني: ما فرض من العبادات. والثالث: الأمراض والرابع المصيبة بالأقارب والعشائر.

وقال عطاء: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم، وباعوا رباعهم، وعذبوهم. قوله تعالى: {وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} قال ابن عباس هم اليهود، والنصارى والذين أشركوا مشركو العرب {وَأَنْ تَصْبِرُوا} على الأذى {وَتَتَّقُوا} الله بمجانبة معاصيه.

قوله تعالى: {فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} أي: ما يعزم عليه لظهور رشدة.

فصل

والجمهور على إحكام هذه الآية، وقد ذهب قوم إلى أن الصبر المذكور منسوخ بآية السيف

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَشَتَرُوا بِهِ تَمَنًّا قَلِيلًا قَبِيْسًا مَا يَشْتَرُونَ} قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} فيهم ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي، ومقاتل، فعلى هذا الكتاب التوراة.

والثاني: أنهم اليهود والنصارى، والكتاب التوراة والانجيل.

والثالث: أنهم جميع العلماء فيكون الكتاب اسم جنس.

قوله تعالى: {لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ}.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم، وزيد عن يعقوب {لبيئته للناس ولا يكتُمونه} بالياء فيهما، وقرأ الباقر، وحفص عن عاصم بالتاء، فيهما وفي هاء الكناية في لتبينه، وتكتمونه قولان.

أحدهما: أنها ترجع إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا قول من قال: هم اليهود.

والثاني: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله الحسن، وقتادة، وهو أصح، لأن الكتاب أقرب المذكورين، ولأن من ضرورة تبينهم ما فيه إظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا قول من ذهب إلى أنه عام في كل كتاب. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا.

قوله تعالى: {لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ} قال الزجاج أي رموا به، يقال للذي يطرح الشيء ولا يعبا به: قد جعلت هذا الأمر بظهر قال الفرزدق: تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيا على جوابها

معناه: لا تكونن حاجتي مهملة عندك مطرحة، وفي هاء «فنبذوه» قولان.

أحدهما: أنها تعود إلى الميثاق.

والثاني إلى الكتاب.

قوله تعالى: { وَ شَتَرُوا بِهِ } يعني: استبدلوا بما أخذ الله عليهم القيام به، ووعدهم عليه الجنة { ثَمَنًا قَلِيلًا } أي: عرضا يسيرا من الدنيا.

{ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنْ لَّعْدَابٍ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

قوله تعالى: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ * يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا } وقرأ أهل الكوفة لا تحسبن بالتاء، وفي سبب نزولها ثمانية أقوال.

أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء، فكتموه، وأخبروه بغيره وأروه أنهم قد أخبروه به، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، فنزلت هذه الآية.

والثاني: أنها نزلت في قوم من اليهود فرحوا بما يصيبون من الدنيا، وأحبوا أن يقول الناس إنهم علماء، وهذا القول والذي قبله عن ابن عباس.

والثالث: أن اليهود قالوا نحن على دين إبراهيم، وكتموا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية قاله سعيد بن جبير.

والرابع: أن يهود المدينة كتبت إلى يهود العراق، واليمن، ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها أن محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به، وفرحوا بذلك، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة وأولياء الله. فنزلت هذه الآية هذا قول الضحاك، والسدي.

والخامس: أن يهود خيبر أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: نحن على رأيكم ونحن لكم رءء، وهم مستمسكون بضلالتهم، فأرادوا أن يحمدهم نبي لله بما لم يفعلوا. فنزلت هذه الآية قاله قتادة.

والسادس: أن ناسا من اليهود جهزوا جيشا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واتفقوا عليهم. فنزلت هذه الآية. قاله إبراهيم النخعي.

والسابع: أن قوما من أهل الكتاب دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خرجوا من عنده فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها، فحمدوهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا فنزلت هذه الآية ذكره الزجاج.

والثامن: أن رجلا من المنافقين كانوا يتخلفون عن الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

فنزلت هذه الآية. قاله أبو سعيد الخدري، وهذا القول يدل على أنها نزلت في المنافقين، وما قبله من الأقوال يدل على أنها في اليهود.

وفي الذي أتوا ثمانية أقوال.

أحدها: أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق.

والثاني:

تبديلهم التوراة.

والثالث: إيثارهم الفاني من الدنيا على الثواب.

والرابع: إضلالهم الناس.

والخامس: اجتماعهم على تكذيب النبي.

والسادس: نفاقهم باظهار ما في قلوبهم ضده.

والسابع: اتفاقهم على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه أقوال من قال: هم اليهود.

والثامن: تخلفهم في الغزوات وهذا قول من قال: هم المنافقون.

وفي قوله تعالى: { وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا } ستة أقوال.

أحدها: أحبوا أن يحمدوا على إجابة النبي صلى الله عليه وسلم، عن شيء سألهم عنه، وما أجابوه.

والثاني: أحبوا أن يقول الناس هم علماء وليسوا كذلك.

والثالث: أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصيام، وهذه الاقوال

الثلاثة عن ابن عباس.

والرابع: أحبوا أن يحمدوا على قولهم نحن على دين إبراهيم، وليسوا عليه. قاله سعيد بن جبير.

والخامس: أحبوا أن يحمدوا على قولهم إنا راضون بما جاء به النبي، وليسوا

كذلك قاله قتادة، وهذه أقوال من قال: هم اليهود.

والسادس: أنهم كانوا يحلفون للمسلمين إذا نصرنا بنا نصركم،

وليسوا كذلك قاله أبو سعيد الخدري، وهو قول من قال: هم المنافقون.

قوله تعالى: { قُلْ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، فلا يحسبهم بالياء، وضم الباء،

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، بالتاء وفتح الباء، قال

الزجاج: إنما كررت تحسبهم لطول القصة، والعرب تعيد إذا طالت القصة

حسبت، وما أشبهها إعلاماً أن الذي يجري متصل بالأول، وتوكيدا له فتقول: لا

تظن زيدا إذا جاء وكلمك بكذا وكذا فلا تظننه صادقا.

قوله تعالى: { تَحْسَبْتَهُمْ بِمَقَارَةٍ } قال ابن زيد، وابن قتبية، بمنجاة.

{ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

قوله تعالى: { وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } فيه تكذيب القائلين بأنه فقير.

وفي قوله تعالى: { وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } تهديد لهم أي: لو شئت لعجلت عذابهم.

{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِتْلِفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }

قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } في سبب نزولها ثلاثة أقوال.

أحدها: أن قريشا قالوا لليهود: ما الذي جاءكم به موسى، قالوا: عصاه ويده

البيضاء وقالوا للنصارى: ما الذي جاءكم به عيسى، قالوا: كان يبرىء الأكمه

والأبرص ويحيى الموتى، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: ادع ربك

يجعل لنا الصفا ذهباً. فنزلت هذه الآية، رواه ابن جبير، عن ابن عباس.

والثاني: أن أهل مكة سألوه أن يأتيهم بآية. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

و الثالث: أنه لما نزل قوله تعالى: {وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَجِدْ} البقرة: 163. قالت قريش: قد سوى بين آلهتنا إئتنا بآية. فنزلت هذه الآية. قاله أبو الضحى، واسمه مسلم بن صبيح فأما تفسير الآية فقد سبق.

{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }

قوله تعالى: { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا } في هذا الذكر ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الذكر في الصلاة يصلي قائماً، فإن لم يستطع، فقاعداً فإن لم

يستطع فعلى جنب، هذا قول علي، وابن مسعود، و ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنه الذكر في الصلاة، وغيرها وهو قول طائفة من المفسرين.

والثالث: أنه الخوف فالمعنى يخافون الله قياماً في تصرفهم، وقعوداً في دعوتهم وعلى جنوبهم في ميامهم.

قوله تعالى: { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } قال ابن فارس: التفكير تردد القلب في الشيء، قال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه.

قوله تعالى: { رَبَّنَا } قال الزجاج: معناه يقولون ربنا { مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا } أي خلقته دليلاً عليك، وعلى صدق ما أتت به أنبياءك ومعنى { سُبْحَانَكَ } براءة لك من السوء، وتنزيهاً لك أن تكون خلقتهما باطلاً { فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } فقد: صدقنا أن لك جنة ونار.

{ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }

قوله تعالى: { رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ } قال الزجاج: المخزى في اللغة المذل المحقور بأمر قد لزمه وبهجة. يقال: أخزيت، أي: ألزمته حجة أذلته معها. وفيمن يتعلق به هذا الخزي قولان:

أحدهما: أنه يتعلق بمن يدخلها مخلداً، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وقتادة، وابن جريج، ومقاتل.

والثاني: أنه يتعلق بكل داخل إليها، وهذا المعنى مروى عن جابر بن عبد الله، واختاره ابن جرير الطبري، و أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: { وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } قال ابن عباس: وما للمشركين من مانع يمنعهم عذاب الله تعالى.

{ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا وَ ءَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ }

قوله تعالى: { رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا } في المنادي قولان.

أحدهما: أنه النبي صلى الله عليه وسلم، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد ومقاتل.

والثاني: أنه القرآن قاله محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري. قوله تعالى: {يُنَادِي لِلْإِيْمَانِ} فيه قولان.

أحدها: أن معناه ينادي إلى الإيمان ومثله {لِيَذِي هَدَانًا لِهَذَا} الأعراف: 43. {يَا أَيُّهَا رَبَّنَا أَوْحَىٰ لَهَا} الزلزلة: 5. يريد هداانا إلى هذا، وأوحى إليها. قاله الفراء. والثاني: بأنه مقدم ومؤخر والمعنى سمعنا مناديا للإيمان ينادي، قاله أبو عبيدة. قوله تعالى: {وَكَفَّرْنَا عَنَّْا سَيِّئَاتِنَا} قال مقاتل امح عنا خطايانا، وقال غيره غطها عنا وقيل: إنما جمع بين غفران الذنوب، وتكفير السيئات لأن الغفران بمجرد الفضل والتكفير بفعل الخير {وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة والكسائي، الأبرار، والأشرار وذات قرار وما كان مثله بين الفتح والكسر، وقرأ ابن كثير وعاصم بالفتح ومعنى: مع الأبرار فيهم قال ابن عباس: وهم الأنبياء والصالحون.

{ رَبَّنَا وَعَآئِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ لِقِيْمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ لِمِيعَادَ }

قوله تعالى: {رَبَّنَا وَعَآئِنَا مَا وَعَدْتَنَا} قال ابن عباس: يعنون الجنة {عَلَىٰ رُسُلِكَ} أي: على أسنتهم فإن قيل ما وجه هذه المسألة والله لا يخلف الميعاد؟ فعنه ثلاثة أجوبة.

أحدها: أنه خرج مخرج المسألة، ومعناه: الخبر، تقديره: فآمنا، فاعفر لنا لتؤتينا ما وعدتنا.

والثاني: أنه سؤال له، أن يجعلهم ممن آتاه ما وعده، لا أنهم استحقوا ذلك، إذ لو كانوا قد قطعوا أنهم من الأبرار، لكانت تزكية لأنفسهم.

و الثالث: أنه سؤال لتعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، لأنه وعدهم نصرا غير مؤقت فرغبوا في تعجيله، ذكر هذه الأجوبة ابن جرير، وقال: أولى الاقوال بالصواب أن هذه صفة المهاجرين، رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم، فكانهم قالوا: لا صبر لنا على حلمك عن الأعداء فعجل خزيهم وظفرنا بهم.

{ وَ سَلِّتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ }

قوله تعالى: {وَ سَلِّتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} روي عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء. فنزلت هذه الآية. واستجاب: بمعنى: أجاب والمعنى: أجابهم بأن قال لهم: إني لا أضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أم أنثى.

وفي معنى قوله تعالى: {بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ} ثلاثة أقوال.

أحدها: بعضكم من بعض في الدين والنصرة والموالاة.
والثاني: حكم جميعكم في الثواب واحد لأن الذكور من الإناث، والإناث من الذكور.

والثالث: كلكم من آدم وحواء.
قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هَجَرُوا} أي: تركوا الأوطان والأهل والعشائر {وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} يعني: المؤمنين الذين أخرجوا من مكة بأذى المشركين فهاجروا {وَقَاتَلُوا} المشركين {وَقُتِلُوا} قرأ ابن كثير، وابن عامر «وقاتلوا وقتلوا» مشددة التاء وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم «وقاتلوا وقتلوا» خفيفة وقرأ حمزة والكسائي و «قتلوا وقتلوا» قال أبو علي تقديم قتلوا جائز لأن المعطوف بالواو، يجوز أن يكون أولاً في المعنى: مؤخراً في اللفظ.

قوله تعالى: {ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ} قال الزجاج: هو مصدر مؤكد لما قبله لأن

معنى {لَهُمْ جَنَّتٌ} لأثيبهم.
{لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي لِيْلَةٍ * مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ لِمَهَادٌ}

قوله تعالى: {لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي لِيْلَةٍ} اختلفوا فيمن نزلت على قولين.

أحدهما: أنها نزلت في اليهود ثم في ذلك قولان.

أحدهما: أن اليهود كانوا يضربون في الأرض فيصيبون الأموال. فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس.

والثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم، أراد أن يستسلف من بعضهم شعيراً فأبى إلا على رهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو أعطاني لأوفيته إني لأمين في السماء أمين في الأرض. فنزلت ذكره أبو سليمان الدمشقي.
والقول الثاني: أنها نزلت في مشركي العرب، كانوا في رخاء فقال: بعض المؤمنين قد أهلكنا الجهد وأعداء الله فيما ترون. فنزلت هذه الآية. هذا قول: مقاتل. قال قتادة: والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمواد غيره. وقال غيره: إنما خاطبه تأديبا وتحذيراً وإن كان لا يغتر وفي معنى {تَقَلُّبِهِمْ} ثلاثة أقوال.

أحدها: تصرفهم في التجارات، قاله ابن عباس، و الفراء، وابن قتيبة، و الزجاج.
والثاني: تقلب ليلهم ونهارهم وما يجري عليهم من النعم، قاله عكرمة، و مقاتل.
والثالث: تقلبهم غير مأخوذين بذنوبهم، ذكره بعض المفسرين، قال الزجاج: ذلك الكسب والربح متاع قليل، وقال ابن عباس: منفعة يسيرة في الدنيا والمهاد الفراش.

{لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ}

قوله تعالى: { لَكِنَّ لِّذِينَ نَبَّهْتُمْ } قرأ أبو جعفر: لكن بالتحديد هاهنا، وفي الزمر قال مقاتل: وحدوا. قال ابن عباس: النزل الثواب. قال ابن فارس: النزل: ما يهيا للنزيل، والنزيل: الضيف.

{ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }

قوله تعالى: { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ } اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال.

أحدها أنها نزلت في النجاشي، لأنه لما مات صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال قائل: يصلي على هذا العج النصراني، وهو في أرضه؟ فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر ابن عبد الله و ابن عباس، وأنس. وقال الحسن. وقتادة فيه وفي أصحابه.

والثاني: أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

والثالث: في عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن جريج، وابن زيد، و مقاتل.

والرابع: في أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى، فأمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، قاله عطاء.

قوله تعالى: { وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ } يعني: القرآن { وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ } يعني: كتابهم. والخاشع: الذليل. { لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } أي: عرضا من الدنيا

كما فعل رؤساء اليهود، وقد سلف بيان سرعة الحساب

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا طَبِّرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }

قوله تعالى: { ءَامَنُوا طَبِّرُوا وَصَابِرُوا } قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: نزلت في انتظار الصلاة بعد الصلاة وليس يؤمئذ غزو يرابط. وفي الذي أمروا بالصبر عليه خمسة أقوال.

أحدها: البلاء والجهاد، قاله ابن عباس.

الثاني: الدين، قاله الحسن، والقرظي، و الزجاج.

والثالث: المصائب، روي عن الحسن أيضا.

والرابع: الفرائض، قاله سعيد بن جبیر.

والخامس: طاعة الله، قاله قتادة. وفي الذي أمروا بمصابرته قولان.

أحدهما: العدو، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: الوعد الذي وعدهم الله: قاله عطاء، والقرظي. وفيما أمروا بالمرابطة عليه قولان.

أحدهما: الجهاد للأعداء، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة في آخرين. قال ابن قتيبة: وأصل المرابطة والرباط: أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم في الثغر، كل يعد لصاحبه.
والثاني: أنه الصلاة أمروا بالمرابطة عليها. قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن: وقد ذكرنا في البقرة معنى لعل ومعنى الفلاح.